

دير القديس أنبا مقار

برية شيهس

لحة سريعة عن:

دير القديس أنبا مقار

والرهبنة في مصر

الأب متى المسكين

كتاب: لحة سريعة عن دير القديس أنبا مقار

والرهينة في مصر.

المؤلف: الأب متى المسكين.

الطبعة الأولى: ١٩٨١.

الطبعات اللاحقة: ١٩٨٥-٢٠٠٦.

الطبعة الرابعة: ٢٠١٥.

مطبعة دير القديس أنبا مقار - وادي النطرون.

ص.ب. ٢٧٨٠ القاهرة.

الناشر: دار مجلة مرقس ص.ب ٣١ شبرا القاهرة.

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٣٠٥٠ / ٢٠٠٥.

رقم الإيداع الدولي: ISBN 977-240-246-7.

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر.

يُطلب من:

دار مجلة مرقس

القاهرة: ٢٨ شارع شبرا - تليفون ٢٥٧٧٠٦١٤

الإسكندرية: ٨ شارع جرين - محرم بك ت: ٤٩٥٢٧٤٠

أو من: مكتبة الدير

أو من خلال الموقع على الإنترنت:

www.stmacariusmonastery.org

المحتويات

صفحة

- ١ - الكنيسة القبطية أعرق كنائس العالم عن تقليد رسولي ٥
- ٢ - رهبنة مصر نور أشرق على نواحي بلاد المشرق ١٧
- ٣ - رهبنة مصر نور أشرق على كل نواحي الغرب ٢٣
- ٤ - القديس مقاريوس وديره بشييت والدور العظيم
الذي اضطلع به على مدى التاريخ ٣٢
- ٥ - وصف الدير عند مبدأ ظهوره في نهاية القرن الرابع ٣٨
- (أ) عصر الحصون والأعمدة ٣٩
- (ب) عصر النهضة الرهبانية
وانتقال مدرسة الإسكندرية اللاهوتية إلى الدير ٤٠
- (ج) نكسات ثم انتفاضات متوالية على أثر غارات البربر ٤٢
- (د) عصر المنشوبيات (الأديرة الصغيرة) وبناء الكنائس ٤٢
- (هـ) عصر الأسوار العالية ٤٤
- (و) انتهاء عصور الحياة التوحدية
وبداية السكنى الشاملة داخل الأسوار ٤٥
- (ز) عصور الصراع المتواصل ٤٧
- شهادة السائحين والزائرين على حالة الدير السيئة
على مدى هذه العصور المتوالية ٤٩
- ٦ - أهم المعالم الأثرية في دير القديس أنبا مقار ٥٣
- ١ - كنيسة أنبا مقار ٥٤
- ٢ - كنيسة الشهداء التسعة والأربعين شيوخ شييت ٦٢

- ٦٣ ٣ - قبة الميرون
- ٦٤ ٤ - كنيسة الشهيد أباسخيريون
- ٦٨ ٥ - الحصن
- ٧٣ ٧ - النهضة المعمارية والروحية الحديثة سنة ١٩٦٩
- ٨٩ شرح صورة الدير قبل الإصلاحات

الكنيسة القبطية

أعرق كنائس العالم عن تقليد رسولي

الكنيسة القبطية تعتبر أعرق كنائس العالم. فقد دخلتها المسيحية حال قيامها في فلسطين وقبل مجيء مار مرقس سنة ٤٣ م بعدة سنوات. يقول العالم جروفس:

[من المحتمل أن يكون الإيمان المسيحي قد انتقل إلى مصر، وبعد يوم البنتيقسطي^١ بقليل. ومما يرجح البداية المبكرة للمسيحية في مصر هو قرب مصر من فلسطين. وكذا السكان اليهود الكثيرون الذين استقروا في مصر. ذلك لأننا نعلم أن الكارزين الأول بالمسيح توجهوا أولاً إلى المجمع].^٢

ويمدنا سفر الأعمال بواقعة تفيد كيفية بداية قبول العلماء الموجودين بالإسكندرية للإيمان المسيحي حال ظهوره في فلسطين وقبل أن يحدّده الرسل: «ثم أقبل إلى أفسس يهودي اسمه أبُلُوس إسكندري الجنس رجل

^١ البنتيقسطي هو يوم "الخمسين" من بعد القيامة.

^٢ Groves, C.P. *The Planting of Christianity in Africa*, p. 36, cited in "St. Mark and the Coptic Church" p. 21.

فصيح مقتدر في الكتب، كان هذا خبيراً في طريق الرب، وكان وهو حار بالروح يتكلم ويعلم بتدقيق ما يختص بالرب، عارفاً معمودية يوحنا فقط.» (أع ١٨: ٢٤ و ٢٥)

هذا الكلام يوضح أن أبُلُوس اليهودي الإسكندري تقبل الإيمان المسيحي بصورة سريعة غير مكتملة حال ظهوره وليس على يدي مرقس الرسول.

كذلك يقول أبو الفرج بن الطيب في تفسيره لإنجيل لوقا:

[هناك أسباب مقنعة تجعلنا نعتقد أن القديس لوقا كتب إنجيله إلى «العزير ثاوفيلس» الذي كان والياً سابقاً في الإسكندرية ثم اهتدى للمسيحية. وهذا كان قبل زيارة القديس مرقس الثانية للإسكندرية.]^٣

ولكن يُعتبر القديس مار مرقس الإنجيلي (أحد التلاميذ السبعين) أول بشير رسمي للديار المصرية، وقد وطأتها قدماه حوالي سنة ٤٣م، بعد أن سبقه إليها الرب يسوع المسيح حين قَدِمَ إليها محملاً على كتف أمه ومع يوسف خطيب مريم هرباً من هيرودس، بحسب رواية الإنجيلي.^٤

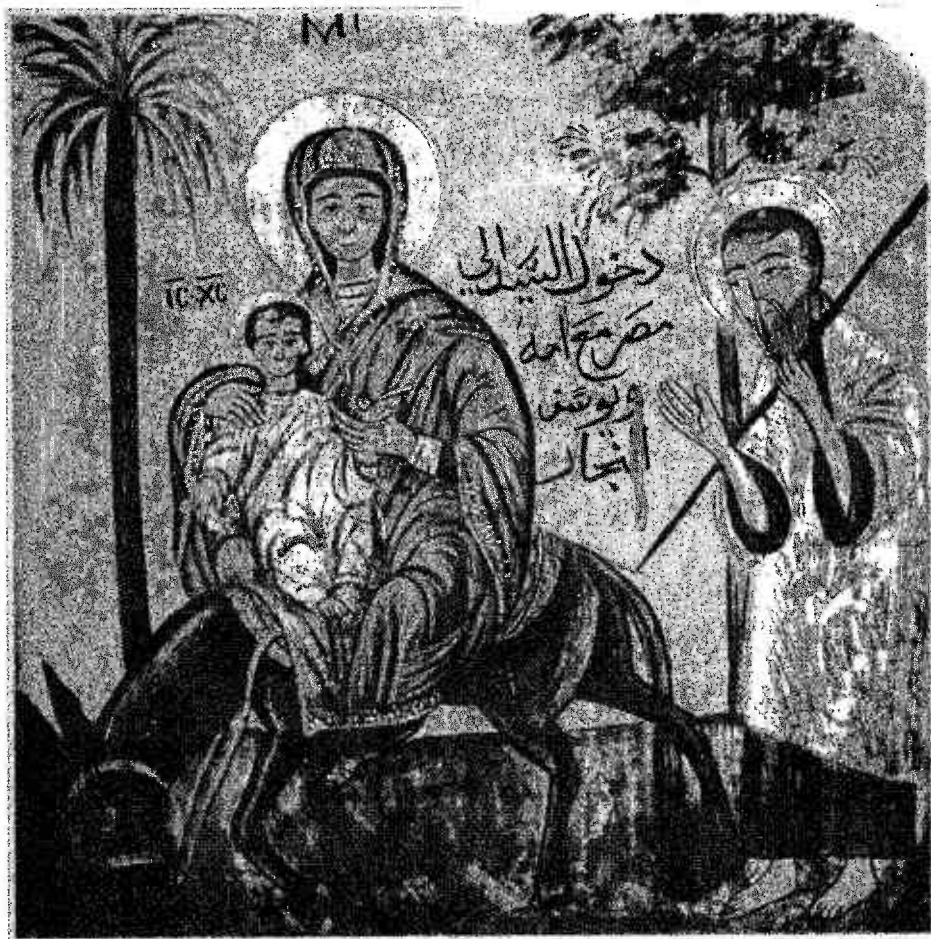
وتبدأ قصة مجيء القديس مرقس الرسول إلى مصر كما يرويها المؤرخ الكنسي الأسقف ساويرس بن المقفع (٩٥٠م - ١٠٣٠م؟) في كتابه: «تاريخ البطارقة»^٥، حينما ظهر له ملاك وهو في روما - وكان هناك

^٣ أبو الفرج بن الطيب: تفسير على إنجيل لوقا، مجلد ٢ صفحة ١١ - مخطوطة عربية. وهو الفيلسوف البغدادي الشيخ أبو الفرج عبد الله بن الطيب المتوفي سنة ١٠٤٣م.

^٤ متى ٢: ١٣ - ١٥.

^٥ Ibn al-Mokaffa, "Hist. of Patr.," Arabic manuscript, p. 15.

مرافقاً للقديس بطرس الرسول في كرازته الأولى إلى هذه المدينة^٦ -
وأقنعه الملاك بضرورة تبشير مصر.



«قم وخذ الصبي وأمه واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك» (مت ٢: ١٣)

وبدافع المقاومة والاضطهاد هنا: انحدرا معاً إلى مصر - القديسان
مرقس وبطرس الرسولان - حيث اتجه مرقس الرسول إلى ليبيا موطنه

^٦ رسالة بطرس الأولى ٥: ١٣.

الكنيسة القبطية أعرق كنائس العالم عن تقليد رسولي

الأصلي (قيرين) بعد أن أسَّس أول كنيسة في الإسكندرية سنة ٤٣ م. أما بطرس الرسول فانحدر من الإسكندرية جنوباً إلى بابلين (مصر القديمة)، حيث كانت أكبر جالية يهودية في الشرق تستوطن هناك، ودعت موطن غربتها باسم بابلين (بابل العراق) حيث تغرَّبوا غربتهم الأولى هناك. ومن بابلين مصر كتب رسالته الأولى، وهذا ما يؤكِّده القديس جيروم في كتابه عن التاريخ الكنسي.^٧

أما مرقس الرسول فبعدهما أسَّس كنيستين في ليبيا (٥٦-٦٠ م)، عاد ثانية إلى الإسكندرية عن طريق الشاطئ سنة ٦١ م. ويقول العالم هاردي ما معناه: [إنه أيضاً من المحتمل أن يكون القديس مرقس قد ذهب أولاً إلى الحي اليهودي في الإسكندرية، الذي كان يقع في الجانب الشمالي الغربي من المدينة، حيث كان أول المهتدين بكرازته إسكافياً يهودياً اسمه إنيانوس أو حنانيا].^٨

فوجد كنيسة الأولى التي أسَّسها من حوالي عشرين عاماً قد نَمَت وازدهرت وضمَّت كثيراً من علماء المتنصرين الذين بمعاونة القديس مرقس الرسول - وهو المدعو في تاريخ جيروم بـ "العالم scholasticus" نظراً لتضلُّعه في العلوم اليونانية^٩ - أنشأوا معاً أول مدرسة لاهوتية مسيحية في

⁷ Hardy, *Christian Egypt*, p. 7 (Cited in "St. Mark & the Coptic Church," p. 12).

⁸ Hardy, *op. cit.*, p. 13.

⁹ Jerome, *Lives of Illustrious Men*, VIII.



القديس مار مرقس الرسول أحد التلاميذ السبعين للرب وكاروز الديار المصرية

الإسكندرية، ورسم جماعة من القسوس لإدارة شئون الكنيسة معاً قبل أن يدخل نظام استقلال كل أسقف بأبروشيته^{١٠}. وقد اختير منهم إنيانوس ليكون أول بابا إسكندري على كرسي مار مرقس بعد استشهاد القديس مرقس الرسول.

ومن بعد إنيانوس توالى البابوات البطارقة الإسكندريون بتسليم رسولي، حافظين الإيمان المسلم بالتقليد الشفاهي والإنجيلي بكل أمانة وإخلاص عبر عشرين قرناً، استوعبت حتى الآن ١١٧ بطريركاً حتى بابانا المكرّم الحالي أنبا شنودة الثالث بابا الإسكندرية وبطريق الكرازة المرقسية الـ ١١٧.

ولكن في مجمع خلقيدونية في القرن الخامس لم يستطع الفكر اللاهوتي ممثلاً في بطريركية القسطنطينية وروما استيعاب الفكر الإسكندري المسلم من القديس أثناسيوس الرسولي والقديس كيرلس الكبير. ولعب في هذا النزاع اللاهوتي أحقاد السياسة والتعالي العنصري وتسابق الكرامة بين المدن الكبرى، بالإضافة إلى لمسة من الفكر النسطوري أصابت كرسي القسطنطينية وروما جعلت العقيدة الأرثوذكسية القبطية صعبة الفهم عليهم، عسيرة الاستساغة، مع أنها بنقطها وحروفها هي العقيدة التي استقرت عليها الكنيسة بالإجماع في مجمع أفسس الثالث - وصاغها القديس كيرلس الكبير معلّم الكنيسة كلها بلا منازع، وتتلخّص في المنطوق اللاهوتي الشهير:

[طبيعة واحدة لله الكلمة المتجسّد

. [μία φύσις τοῦ Θεοῦ Λόγου σεσαρκωμένη (ου)

¹⁰ Ibid.

حيث الطبيعة الواحدة لا تعني الطبيعة اللاهوتية وحدها ولا الطبيعة البشرية وحدها في المسيح، ولكن طبيعة واحدة من طبيعتين أصلاً. لذلك لا تقبل كنيستنا القول السائد في الكنائس الأخرى أن المسيح إله كامل وإنسان كامل، لأن في ذلك ثنائية مرفوضة، بل نقول - بكل تأكيد - إن المسيح إله متجسّد (أو متأنّس)، حيث الطبيعة اللاهوتية قد اتحدت بالطبيعة الناسوتية اتحاداً كاملاً مطلقاً لا يحتمل الثنائية بعد الاتحاد.

فنحن نقول إن الطبيعتين كانتا قبل الاتحاد والتجسّد، أما بعد الاتحاد والتجسّد فلا يصلح أن يُقال إنهما طبيعتان بعد، حيث اللاهوت والناسوت متحدان اتحاداً كاملاً مطلقاً في أقنوم واحد ومشئمة واحدة وجوهر واحد. فالطبيعة الواحدة التي للمسيح بالتجسّد تحوي كل صفات اللاهوت والناسوت كاملة معاً، فكل ما قاله وكل ما عمله وكل ما أراداه المسيح قاله وعمله وأراداه "كإله متأنّس"، ليس فيه ما هو إلهي وما هو بشري، بل كله "إلهي بشري" معاً.

هذا هو الإيمان الذي دافع عنه ديسقورس فحرموه وعزلوه ظلماً، وبقينا نحن أمناء عليه حتى يومنا هذا بانتظار يقظة ضمير روما والقسطنطينية وأثينا، وحينئذ يدرك العالم أمانة الكنيسة القبطية وعمق لاهوتها وروحانية منطقتها.

أما عن الأثر المباشر للمدرسة اللاهوتية بالإسكندرية فيقول عنه مؤرّخو الغرب بلا أي موارد:

[إن أول محاولة منهجية لتألف التقليد الإيماني مع النتائج الحر للعقل

الإنساني لم يتم في روما ولا في أثينا بل في مصر.^{١١}

[لقد أصبحت الإسكندرية هي عقل المسيحية في العالم].^{١٢}

[من المسلم به أن التعليم العالي في الإسكندرية اتخذ اتجاهاً وشكلاً أقرب إلى نظام جامعاتنا الحديثة، مما لم نجده في أي بقعة أخرى في العالم اليوناني - الروماني القديم].^{١٣}

ومن أول البراهين على صحة كل هذا الإطراء والمديح على عظمة المدرسة اللاهوتية بالإسكندرية وأثرها الكبير والمستوى العلمي واللاهوتي المرتفع الذي بلغت إليه، هو الدور الطبيعي الذي قام به باباوات الإسكندرية في الدفاع عن الإيمان وتزعمُ الجوامع المسكونية لمدة خمسة قرون متوالية!! وهل يستطيع العالم أن ينسى العلامة كلمندس الإسكندري وأوريجانوس أو البابا ديوناسيوس الكبير أو البابا بطرس خاتم الشهداء أو البابا ألكسندروس أو البابا أثناسيوس الرسولي أو البابا ثاوفيلس أو البابا كيرلس الكبير الملقَّب بعمود الدين؟

مدرسة اللاهوت بالإسكندرية وعلاقتها بدير القديس أنبا مقار

ولكن مما سيُدهش القارئ جداً أن كل عظمة هذه المدرسة اللاهوتية مع كل تراثها العلمي التقليدي انتقل بكامله إلى دير القديس أنبا مقار بوادي النطرون. وإليك ما يقوله الأسقف المكرَّم أنبا غريغوريوس أسقف الدراسات العليا بالكنيسة القبطية، في لمحة التاريخة عن مدرسة الإسكندرية:

¹¹ Biggs C., *Christian Platonists of Alexandria*, p. 25.

¹² Roberts A., *ANF.*, vol. II, p. 185.

¹³ Gauche W., *Didymus the Blind*, p. 36.

[نحو نهاية القرن الخامس أزعج المدرسة (اللاهوتية) عواصف عاتية كانت من العنف حتى أنها قضت عليها ... وأدّى هذا إلى تشتت تلامذتها وأساتذتها. أما القلّة التي بقيت تسعى من أجل الدرس والبحث، فقد وجدت في دير القديس مقاريوس مأوى وميناء آمناً يتناسب والهدوء الذي كانوا ينشدونه للعمل. وهكذا صار هذا الدير هو الوريث الشرعي للمدرسة اللاهوتية بالإسكندرية إلى أجيال عدة. وهذا هو على الأرجح السبب الذي من أجله كان اختيار معظم الباباوات بعد ذلك يتم من بين رهبان الدير.]^{١٤}

ملاحـ الرهبنة القبطية قديمة قدم الكنيسة نفسها:

ومع بداية تأسيس الكنيسة القبطية في الإسكندرية وبابلليون مصر، قام بين اليهود المنتصرين ثم الأقباط نظام التبثّل والعبادة المنفردة في خارج المدن، وبالأخص في ظاهر الإسكندرية حول بحيرة مريوط، كاستجابة عملية لوصايا الرب يسوع المسيح النسكية. وقد أسماهم الطقس الكنسي في القرون الأولى وفي صميم القداس الإلهي باسم "النسّاك" واعتبروا ضمن طبقة الإكليروس. وقد وصفهم العلامة "فيلو" اليهودي المعاصر والصادق للقديس مرقس الرسول في كتابه^{١٥} "حياة التأمل" أو "في المتضرّعين".

ولكن الرهبنة القبطية بوضعها المنظم ومبادئها الروحانية الملهمّة تبدأ

^{١٤} Bishop Gregorius, *The Catechetical or Theological School of Alexandria*, article in "St. Mark and the Coptic Church", 1968, Cairo, p. 77.

^{١٥} انظر: "يوسابيوس" ٢: ١٧ صفحة ٧٦ وما بعده.

قصتها العالمية الشهيرة بالقديس أنطونيوس كما قدّمه البابا أناسيوس الرسولي للعالم الغربي و"الأقطار النائية" في كتابه المشهور "حياة أنطونيوس".

وإن كان القديس أنطونيوس قد سبقه في التوحّد المطلق القديس بولا أول سائح مسيحي وعاه التاريخ، إلا أن الرهبة مدينة في كل ما لها من مثل إنجيلية ومبادئ روحية ونُظم إدارية للقديس أنطونيوس وباخوميوس من بعده.

وكان أول دير أنشأه القديس أنطونيوس على نظام المتوحدين Eremitism سنة ٣٠٥م، وتبعه القديس باخوميوس حيث أنشأ أول شركة ديرية في سنة ٣١٨م، وبعد ذلك القديس مقاريوس، بديره المشهورين "البراموس" و"أنبا مقار" ما بين عامي ٣٤٠-٣٦٠م على طقس "تجمّع المتوحدين".

وهكذا تُعتبر مصر هي مهد الرهبة المسيحية في العالم، وعن مصر أخذت جميع الدول النظام الرهباني القبطي كمؤسسة شعبية وكنسية بأن واحد، كان لها التأثير المباشر العميق للغاية على الحياة المسيحية في العالم كله، سواء من الوجهة الروحية الصرف لفهم الإنجيل، أو من الوجهة الفلسفية العملية في تطبيق الإنجيل على الحياة اليومية، أو من الوجهة التنظيمية في تدبير الجماعة المسيحية وطرق قيادة الكنيسة ...

القديس أنبا أنطونيوس الكبير



القديس أنبا مقار
لوحة من القرن الرابع عشر
مرسومة على جدران كنيسة التجلي
في نوفجورود (بروسيا)
(وترى حركة اليدين في وضع الصلاة
حسب تقليد رسم الأيقونات)



القديس مقاريوس بين السواح (ومن بينهم أبا نوفر السائح)
كما تبدو في لوحة على جدران دير قديم في روسيا

رهبنة مصر

نور أشرق على كل نواحي بلاد المشرق

(١) فلسطين:

فالقديس "هيلاريون"^١ الفلسطيني الذي أسماه القديس أنطونيوس "نجمة الصبح" لأنه أول مَنْ جاءه من الغرباء ليتلمذ على يديه، هذا عاد إلى بلاده حاملاً في قلبه الرسالة الرهبانية بكل كثافتها الروحانية الإنجيلية، وأسس أديرته الأولى في "غزة"^٢ ثم في كل فلسطين، ومات وله من الأولاد عدّة آلاف من الرهبان الأتقياء. وقد كتب سيرته تلميذه إييفانيوس الذي استلم تعاليمه الرهبانية في مصر أيضاً وبنى لنفسه ديراً في إليوثيروبوليس Eleutheropolis في منتصف المسافة بين غزة وأورشليم (انظر الخريطة في صفحة ٢٠ و ٢١). وإييفانيوس هو نفس القديس المعروف الذي رُسم أسقفاً على سلاميس بقبرص سنة ٣٦٧ م. وظلّت أديرة غزة وإليوثيروبوليس

^١ القديس هيلاريون من بلدة ثافاثا Thavatha على بعد خمسة أميال من مدينة غزة. وقد وُلِدَ حوالي سنة ٢٩٣ م وقد ذهب إلى الإسكندرية وتلقّى العلم فيها ولكنه قطع المرحلة العلمية لما سمع بشهرة القديس أنطونيوس فذهب إليه مدفوعاً بغيرة إلهية ليختط طريق القداسة عوض العلم.

^٢ بدأ أول دير في بلدة ميوما Maiuma وهي ميناء غزة وذلك سنة ٣٣٠ م.

على أقوى الصلات بالرهبة القبطية تستمد منها نورها أولاً بأول^٣.

(ب) بلاد ما بين النهرين:

القديس أو كين (أو أوجين)، وهو من مواطني السويس (كلازما)، وكانت صناعته صياد لآلى، وهو المعروف عند السريان مارأيون (تبيح سنة ٣٦٣م)، هذا تتلمذ على القديس أنطونيوس ثم رحل من الصعيد ومعه سبعون راهباً قبطياً من أولاد أنطونيوس، وأقاموا في براري ماردين ونصيبين، وبنوا أديرة الموصل وجزيرة عمر وطور عابدين وسنجار، وبشروا كافة النواحي بين الأشوريين، وكانوا أعمدة نورانية في الشرق البعيد.

وكذلك مار إسحق المعلم أسقف نينوى النسطوري، المولود ببلاد اليمن، والذي نزع إلى بلاد ما بين النهرين، هذا استقى حكمته العالية من رهبان مصر وبالأخص من مؤلفات القديس مقاريوس المصري الكبير. وعاش فترة طويلة في براري شيهيت المقدسة (وادي النطرون) بعد أن اعتزل أسقفية نينوى مفضلاً أن يعيش متوحداً بين متوحدي مصر من أن يكون كبيراً على كنيسة أعظم مدن الشرق! ...

(ج) سوريا:

أما القديس أفرآم (٣٠٦-٣٧٣م) ملفان^٤ الكنيسة السريانية الكبير وقيثارة الروح القدس، فقد استقى رهبانيته الأولى في إسقيط مصر (وادي النطرون)، وعاش مدة مع القديس بيشوي أحد أولاد القديس أنبا مقار. ثم عاد إلى بلاده مفعماً بمشاعر الروح التي كانت تتأجج في

^٣ V.P.G. c. 110 cited by Derwas J. Chitty *The Desert A City*.

^٤ "ملفان" كلمة سريانية تعني معلم.

صدره فتخرج على هيئة آلاف الأبيات الشعرية بكافة الأوزان، التي تُرجمت إلى اليونانية وهو لا يزال حيًّا. فذاعت شهرته، وامتد تأثيره حتى إلى بلاد اليونان وكل الكنائس البيزنطية التي أخذت من أوزانه وتأثرت بروحانياته، ومنها وصلت إلى كل روسيا.

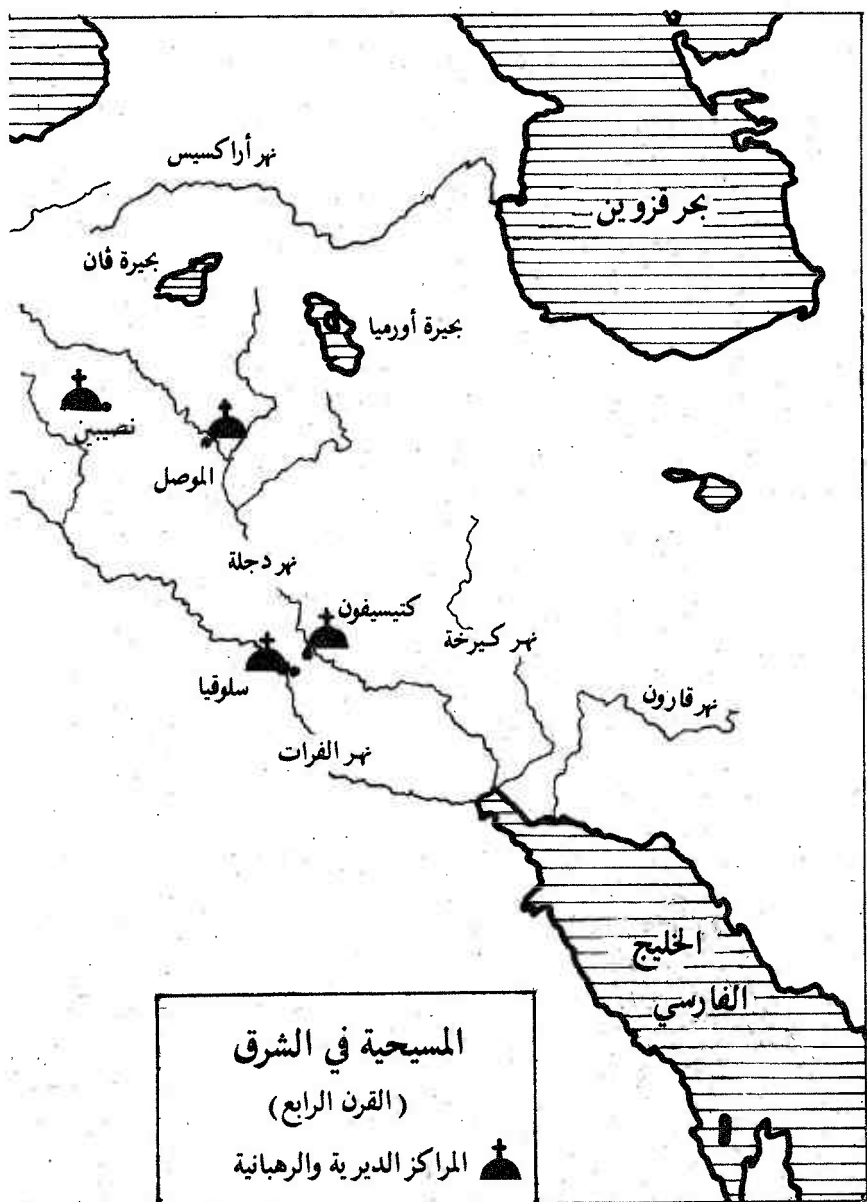
وحتى يوحنا العالم الروحاني الكبير المعروف باسم الشيخ الروحاني أو القديس سابا، وهو من أكبر علماء الكنيسة النسطورية، فهذا أخذ عن الرهبنة القبطية كل خبراتها وروحانياتها وسكبتها في مقالاته وميامره الذائعة الصيت.

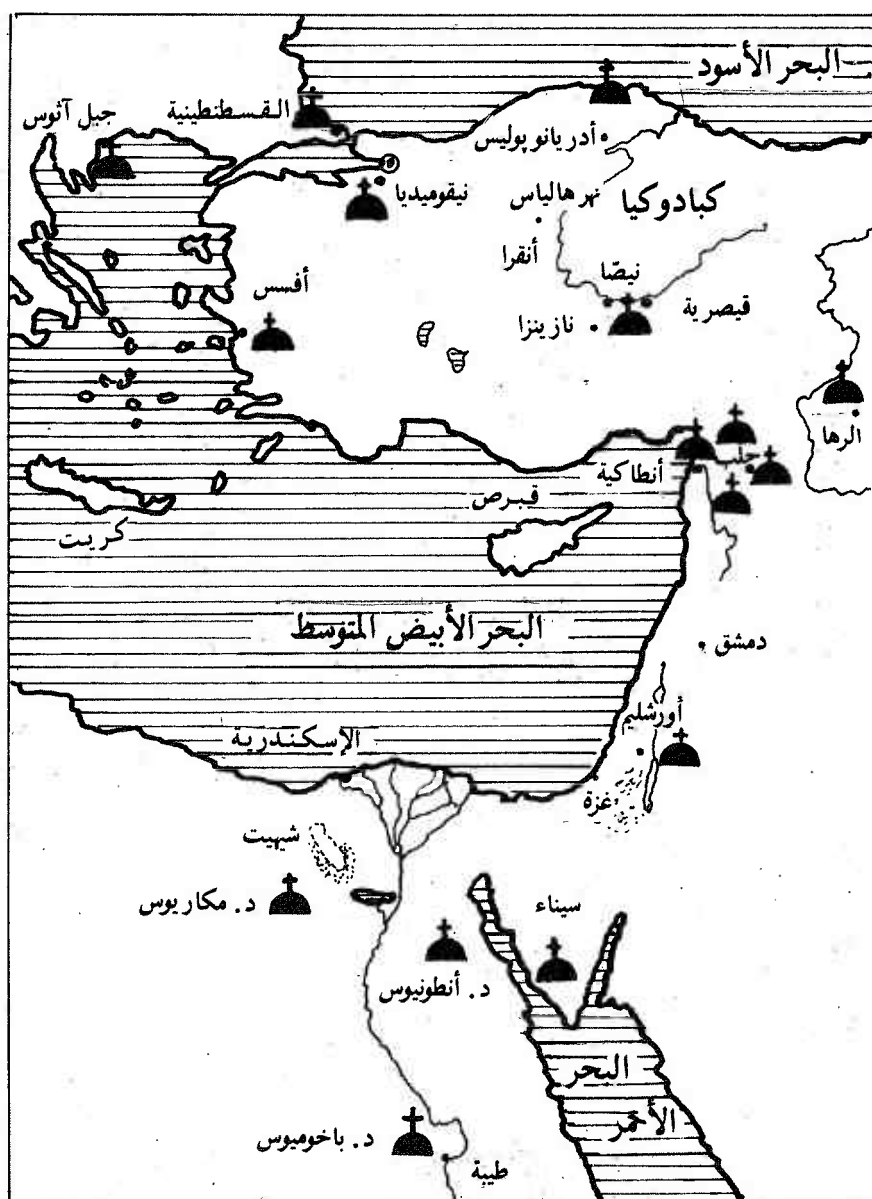
القديس باسيليوس الكبير (٣٣٠-٣٧٩م) وهو باكورة آباء كبادوكية العظام، وقد جاء إلى مصر واستقى الرهبنة على آباءها الأقباط العظام، ورحل إلى قيصرية الجديدة سنة ٣٥٨م، حيث بدأ حياته التوحدية، وبدأ بتنظيم الرهبنة ووضع قوانينها التي اتّسمت بها رهبنة كل الشرق بعد ذلك.

والمعلوم أن القديس باسيليوس عاش لعدّة سنوات في صعيد مصر متملّذاً على أيدي القديس باخوميوس نفسه وتلاميذه العديدين.

ومن المسلّم به أن رهبنة جبل آثوس في اليونان بجمليتها هي نقل حرفي لنظام وقوانين القديس باسيليوس الذي نقل عن مصر.

القديس يوحنا الدرجي رئيس طور سينا المعروف بدير سانت كاترين (تنيح سنة ٦٤٩م): جاء إلى مصر وعاش بين الرهبان الأقباط وأقام في دير الباخوميين شمال شرق الإسكندرية المدعو بـ"دير كانوب" وهو الماطونيا أو





الميطانيا، أي دير التوبة للطبائسين، وكان أصلاً معبداً للإله سيرايس، وقد هدمه البابا ثاوفيلس الـ ٢٣ (٣٨٥-٤١٢م) وسلّمه للباخوميين، وهو الدير الذي أقام فيه القديس أرسانيوس. وهو على بعد ١٢٠ غلوة (٢٣ كم تقريباً) من الإسكندرية°. وقد أثنى الدرجي كثيراً على نظام هذا الدير ورهبانه، ونقل طريقة حياتهم ومعيشتهم إلى دير طور سينا.

عصبة أرم على المستوى الرهباني:

ويسترعي انتباهنا جداً الموقع الذي عاش فيه القديس يوحنا القصير وبني ديريه على بعد ١٥ كيلومتراً جنوب غرب دير أنبا مقار. فقد تجمّع في هذه البقعة عديد من الجنسيات وعاشوا كلٌّ في ديريه ملاصقاً للآخر في وحدة روحانية وألفة مسكونية منقطعة النظير، ولا تزال آثار هذه الأديرة موجودة للآن: دير الأرمن، ودير السريان، ودير الأحباش.

ولا شك أن وجود رهبان من أقطار متباعدة بهذه الكثافة كان واسطة لنقل كل التراث القبطي، سواء كان رهبانياً روحانياً أو طقسياً ليتورجياً إلى كافة هذه الأقطار.

° قد قمتُ بزيارة بقايا هذا الدير في أبو قير سنة ١٩٥٥م. وكان معسكراً للجيش المصري استلمه من كامب الإنجليز، ودخلتُ كنيسة وزرْتُ قلاله، وبعض منها داخل في البحر وبعض منها تحت الأرض ورأيتهم قد استخدموها مخازن للبارود.

رهينة مصر نور أشرق على كل نواحي الغرب

(١) إيطاليا وفرنسا وجنوب ألمانيا

إن كتاب أنثاسيوس الرسولي "حياة أنطونيوس" الذي كتبه ردًا على خطابات أساقفة الغرب يسألونه عن رهينة مصر وقديسها الأول أنطونيوس، هذا الكتاب يكشف عن قصة بدء انتشار الرهينة القبطية التي حملها القديس أنثاسيوس الرسولي إلى روما وفرنسا، وحتى إلى حدود ألمانيا (تريف)، المنفى الذي عاش فيه القديس أنثاسيوس مرتين ولمدة طويلة (٣٣٦-٣٣٩م) حيث ذهب ومعه راهبان مصريان نقلًا معهما كل تراث القديس أنطونيوس وتعاليمه ونظامه الرهباني الذي كان قد ملأ في ذلك الوقت كل براري نتريا (جنوب الإسكندرية)، وكل منطقة القلاي جنوب بحيرة مريوط، وكل إسقيط مقاريوس (وادي النطرون).

وهكذا انتشرت فضائل وتعاليم رهبان مصر إلى إيطاليا وفرنسا وألمانيا حيث بنيت الأديرة الأولى هناك على نظام متوحيدي مصر.

فرنسا مرة أخرى:

يوحنا كاسيان: (٣٦٠-٤٣٥م) ويأتي كاسيان (الفرنسي الأصل)، ويعيش ويتلمذ على أعظم رهبان مصر في بيرة تانيس جنوب بحيرة

المنزلة، وبرية ديوكليس جنوب بحيرة البرلس، ونتريا جنوب بحيرة مريوط، ثم الإسقيط في برية بحيرات وادي النطرون، ويتثقف حتى الشعب والماء بكل حكمة رهبان مصر. ويعود إلى بلاده فرنسا ويؤسس ديرين في مرسيليا على نفس طقس رهبان برية شيهيت، وذلك سنة ٤١٥م، وكتب لرهبانه كتابين هما خلاصة التعاليم التي تلقاها من آباء مصر شفاهاً عن كل واحد باسمه.

ويُدعى الكتاب الأول باسم "المؤسّسات Institutes"، والكتاب الثاني: "المحاورات Conferences"، وهو المحاورات التي دارت بينه وبين أعاضم رهبان مصر. والكتابان صارا المنهج الأساسي لكل التعاليم الرهبانية في الغرب وبالأخص عند القديس بندكت الذي كان يقرأها لرهبانه يومياً كدستور للحياة التقوية.

القديس مارتينوس: ويأخذ القديس مارتينوس في فرنسا كل طقس النظام الرهباني الذي استقاه من كتابات كاسيان ويؤسس ديريه الكبير في تور، وهي البلدة التي رُسم عليها أسقفاً، وصار بواسطة تعاليم رهبان الأقباط المسجّلة في كتابات كاسيان من أشهر قديسي فرنسا وشفيعها المحبوب.

وقد وُلد سنة ٣١٥م. وتنيح سنة ٣٩٧م، وكان صديقاً وزميلاً للقديس إيلاريون أسقف بواتيه. أما أول دير أسّسه مارتينوس فكان على المنهج القبطي في مدينة Lige، وقد كتب سيرته صديقه المعروف سالبيسيوس ساويرس.

ويأتي تلميذ مارتينوس المدعو مكسيموس ويؤسس ديريه على النظام الكاسياني القبطي بالقرب من ليون.

وهكذا انتشرت رهبنة مصر بكل تراثها الثقافي في فرنسا.

(ب) آسيا الصغرى واليونان

١ - ويأتي القديس بالليديوس المؤرخ الرهباني المشهور، المولود في غلاطية بآسيا الصغرى (بيزنطي) سنة ٣٦٣م وينزل بالإسكندرية سنة ٣٨٨م ضيفاً على القديس إيسيدوروس صاحب بيت الضيافة بدار البطيركية، وهذا يسلمه إلى رهبان الدير الخامس بظاهر الإسكندرية ثم ينحدر إلى نتريا (جنوب بحيرة مريوط). وهناك يظل يتنقل بين الرهبان متعلماً ومسجلاً لأقوالهم.

ثم يتجه إلى شيهيت (برية القديس مقاريوس) ويمكث هناك تسع سنوات كاملة (٣٩١-٣٩٩م) متهدباً على أيدي متوحدي شيهيت.

ثم ينحدر إلى صعيد مصر ويأخذ شيئاً من الرهبة على أيدي يوحنا الأسيوطي، ومن هناك يعود إلى آسيا الصغرى مشبعاً بالتعاليم والروحانية القبطية ليرسم أسقفاً على هرموبوليس وينشر تعليمه في كل ربوع آسيا الصغرى، ملازماً للقديس يوحنا ذهبي الفم ومدافعاً عنه.

وقد وضع بالليديوس تاريخاً شيقاً للرهبة القبطية، وأهداه إلى أحد أشخاص البلاط الإمبراطوري المدعو "لوزيوس" فسمي بـ "التاريخ اللوزياكي". ومن هذا الاسم وهذا الإهداء نستدل كيف تغلغت الروح الرهبانية في قصور الأباطرة لتصبح أسلوباً للحكم.

٢ - كذلك كان تأثير إيفاجريوس البنطي (٣٤٥-٣٩٩م) من إقليم بنتس بآسيا الصغرى، شديداً للغاية، ليس على آسيا الصغرى فحسب،

^١ لوزيوس أحد معاوني الإمبراطور ثيوذوسيوس الثاني.

بل على كل ربوع بلاد اليونان، بسبب ميله إلى التقسيم المنهجي العقلاني للفضائل الرهبانية التي استقاها من مؤلفات العلامة أوريجانوس ومن جماعة العقلانيين من رهبان نتريا المتمصرين. وقد عاش ١٧ سنة في مصر، وتلمذ على يدي القديس مقاريوس الإسكندري في منطقة القلاي لمدة طويلة.

إيطاليا أيضاً وأسبانيا:

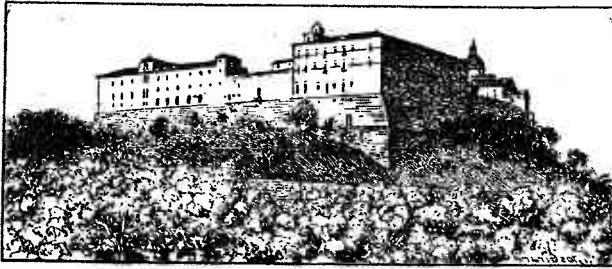
١ - القديس جيروم: ومن إيطاليا جاء جيروم (٣٤٢-٤٢٠م)، مصطحباً معه الأرملة "باولا" إحدى ثريات إيطاليا، وعاشا معاً وتلمذا لمدة طويلة على رهبان مصر في إقليم نتريا وشيهيت وتقابلا مع القديس مقاريوس الكبير. ورحلا إلى أورشليم حيث ألف جيروم كتابه عن تاريخ الرهبان.

كما ترجم القديس جيروم قوانين القديس باخوميوس إلى اللاتينية سنة ٤٠٤م ونشرها بين الرهبان الإيطاليين. وكانت تعاليم القديس باخوميوس المصري الصعيدي هي الشرارة التي أشعلت الروح الرهبانية في كل بلاد الغرب.

٢ - روفينوس: ومن شمال إيطاليا، وبالذات مدينة أكويلا، جاء روفينوس مصطحباً هو أيضاً ميلانيا الأسبانية، سنة ٣٧١م. وأقام مدة بين رهبان مصر في نتريا والقلاي وشيهيت، وتلمذ على أكابر الآباء مقاريوس وإيسيدوروس وبامو، وسجل أعمال الآباء وأقوالهم وتراجم حياتهم، ثم قام بعد ذلك بترجمة كل التراث القبطي من اللغة اليونانية إلى اللغة اللاتينية مما كان له أكبر الأثر في نشر الثقافة الرهبانية القبطية

في كل بلاد الغرب.

٣ - القديس بندكت: أما القديس بندكت المدعو "رئيس كل الآباء رهبان الغرب"، الذي عاش ومات في مونت كاسينو (٤٨٠-٥٥٠م)، فقد أسس اثني عشر ذيراً على نظام الرهبان الأقباط كما استقاها من مصادر كاسيان ريب رهبان مصر ومن قوانين القديس باسيليوس، التي نقلها هو الآخر عن النظام القبطي.



دير مونت كاسينو

أسس عام ٥٢٩م ولم تهدم مبانيه الأثرية إلا في الحرب عام ١٩٤٤ ثم أعيد بناؤها

٤ - ديونيسيوس الصغير: وهو راهب غربي آخر يُدعى Denys le Petit تنيَّح سنة ٥٤٥م. وقد قام هو الآخر بترجمة حياة ونظام وقوانين القديس باخوميوس إلى اللاتينية ونشرها في كل أوروبا.

شمال أفريقيا:

وهذا القديس أغسطينوس (٣٥٤-٤٣٠م) أمير المتصوفين في العالم، أسقف هيبو، وأحد أعظم آباء الكنيسة الذين صبغوا فكر المسيحية في

رهبنة مصر نور أشرق على كل نواحي الغرب

الغرب والشرق، وامتد أثره على مدى التاريخ حتى يومنا هذا - هذا أثنه رسالة الإلهام الأولى والعظمى من مصر في صيف عام ٣٨٦م، عندما قرأ كتاب "حياة القديس أنطونيوس" لمؤلفه البابا أثناسيوس الرسولي، وبعدها اعتزل العالم مباشرة ودخل في صراع عميق مع نفسه ومع العالم. وأخيراً انتصرت روح مصر وروح القديس أنطونيوس. واستلم أوغسطينوس الخلاص، واعتمد في عيد القيامة سنة ٣٨٧م.

وأسس أول دير له في تاجوستا بشمال أفريقيا، وبعدها أمسكوه وجعلوه أسقفاً على هيبو. ومنذ ذلك الحين وروح الرهينة الممزوجة بلمسات التصوف العميق تنضح على جميع تأليفه وأعماله ومبادئه التي صارت منبعاً عذباً للتأمل والحب والصلاة للكنيسة في كافة أنحاء العالم حتى اليوم.

إنجلترا وأيرلندا:

يقول المؤرخ المشهور "ستانلي لان بول" عن موضوع علاقة رهبان مصر بإنجلترا:

[إلى الآن لم نعرف كما ينبغي - نحن سكان الجزر البريطانية - كم نحن مدينون جداً لهؤلاء النساك (الأقباط) المتوحدين، لأن الأمر هو أكثر من أن يكون احتمالاً من حيث الكرازة الأولى في إنجلترا، التي تمت بفضل هؤلاء الأقباط، حيث كان القانون الرهباني المصري هو السائد قبل عصر أوغسطين أسقف كانتربري (٦٠٤-٦٠٥م). ولكن ما هو أكثر أهمية من ذلك هو أن المسيحية في أيرلندا - التي كانت العامل المؤثر الأعظم لانبعاثات المدنية في مستهل

العصور الوسطى لكل الدول الشمالية في أوروبا، هي باعتقادنا وليدة الكنيسة المسيحية المصرية. وفي ما يُسمَّى "بصحراء" أوليخ سبعة رهبان مصريون مدفونون هناك. كما أن شعائر الخدمة الليتورجية والمعمار الكنسي في أيرلندا منذ أقدم العصور تحمل الكثير الذي يذكرنا بآثار المسيحية الأقدم في مصر. وكل واحد يعرف جيداً أن البراعة اليدوية للرهبان الأيرلنديين في القرنين التاسع والعاشر فاقت بكثير مثيلاتها في كل أوروبا.

ويمكننا أن نرد الفضل في فن تحلية مصوغاتهم الذهبية والفضية الرائعة التي تبدو بيزنطية الشكل، وفي زخرفة المخطوطات بزخارف لا تُضارَع، إلى تأثير المبشرين المصريين، وهكذا فإن الدِّين الذي ندين به للأقباط أكبر مما نتصور.²

البعثات الرهبانية لكافة أقطار العالم:

ومن الوثائق التاريخية التي احتفظ بها التاريخ الرهباني القصص التي تثبت قيام الرهبان الأقباط ببعثات تبشيرية، سواء بالمسيحية أو بالنظام الرهباني، في أقطار عديدة من العالم. فدارسو التاريخ يعرفون شخصية القديس سيرابيون (?-٤٠٠م) الذي قام برحلات سياحية في نواحي اليونان وإيطاليا، وشخصية القديس موريس المصري وفرقة الحريرية التي عسكرت في سويسرا، والقديسة فيرينا وهي أخت القديس موريس التي رافقته لتبشّر تلك النواحي، والتي لا يزال لها كنيسة على اسمها بمدينة

² Stanley Lane-Pool, *Sketches of its History, Monuments and Social Life*, London 1898, pp. 203-4.

سولير بسويسرا، والسبعة الرهبان الذين بشّروا إنجلترا واستقروا في أيرلندا.

والقديس إشعياء الإسقيطي الذي نزع من برية القديس مقاريوس بوادي النطرون وهاجر إلى فلسطين واستقر هناك حيث ظلّ يحجّ إليه كافة طوائف الرهبان والرؤساء والملوك، ومكث في فلسطين لا يغادر مركزه التبشيري أكثر من أربعين سنة. **والقديس برصنوفوس** أيضاً في غزة.

كذلك نعرف كثيراً من الأسماء اللامعة لأعظم الرهبان الذين غادروا مع تلاميذ لهم يُعدّون بالمئات في أعقاب كل اضطهاد أو كل غارة من الغارات الخمس الرئيسية التي وقعت على البراري موطن الرهبان في نتريا والقلالي وشيهيت وأيضاً على بسير وأعالي الصعيد أحياناً. وقد هاجروا من مصر بقصد التبشير بدافع الحرارة الإنجيلية «أما الذين تشبّثوا من جراء الضيق جالوا مبشّرين بالكلمة ... فاجتازوا إلى فينيقية وقبرص وأنطاكية ...» (أع ٨ : ٤ ، ١١ : ١٩)، فمنهم مَنْ اتجه صوب سيناء وفلسطين وبلاد العرب، وما بين النهرين، والهند، واليونان، وإيطاليا، وإنجلترا وأيرلندا، ومنهم مَنْ اتجه إلى شمال أفريقيا، وأسبانيا بالضرورة.

والذي سهّل على الرهبان الأقباط هذه الهجرة التبشيرية تمهّدهم في اللغة اليونانية التي كانت لغة العالم الروماني في كل أنحاء المسكونة، وسهولة المواصلات بالمسير على الطرق المعبّدة أو بالبحار، حيث كان ميناء الإسكندرية يُعتبر قلب المواصلات لكافة أنحاء العالم المعروف آنذاك. هذا بالإضافة إلى صفة الانطلاق والحرية من كافة القيود التي تميز

الراهب، بعكس العلماني الذي نجده غالباً مربوطاً بالأهل والوطن. أما حين الراهب فلا يتمركز إلا في شخص المسيح، وفي الطقس الرهباني الذي يعشقه المتوحدون وكأنه الملوكوت.

وبهذا يتبين بغاية الوضوح أن الكنيسة القبطية قامت بعملية تبشير عظمى شملت جميع أقطار المسكونة شرقاً وغرباً، لا على المستوى الفردي ولا بفهم كارز أو معلم يجول وحسب، بل بنظام روحي كامل دقيق أخرجته الرهنة القبطية للعالم كله، لفهم الإنجيل ومعاشته، ولتدبير الجماعات وتنظيم الكنيسة. بل ولقد أجمع كثير من العلماء على أن قيام نظام الجامعات في أوروبا كان محاكاة وتطبيقاً لنظام التعليم في الرهنة في الطقس القبطي عن باخوميوس.

وهذا هو النظام الرهباني بكل أشكاله في كافة الكنائس وفي كل أنحاء العالم الذي بتأثيره المباشر على الحياة كلها، يشهد لمصر ولأقباط مصر أنهم أصحاب بشارة بالدرجة الأولى. هذه البشارة التي بلغت كل مسيحي في كل عصر في كل العالم حتى يومنا هذا!

القديس مقاريوس وديره بشيحية والدور العظيم الذي اضطلع به على مدى التاريخ

أولاً: صفات القديس مقاريوس:

أهم صفات القديس مقاريوس التي بدت عليه منذ شبابه «الحكمة»، فكان أصدقائه ومحبه يدعونه باسم بيداريو جيرون παιδαριογέρων أي «الشاب الشيخ» أو «الصغير صاحب حكمة الشيوخ».

وكانت له قدرة على استبطان الأمور، فبدت وكأنها روح نبوءة، فكانوا يدعونه بالنبى اللابس الروح، أي حامل الروح القدس.

وكان صفوحاً معزياً، مقتدراً بالروح قادراً أن يقود جميع القامات والمستويات إلى المسيح. جمع في قطيعه بين أعنف النماذج مثل موسى الأسود، وأرق وألطف النماذج مثل زكريا الصبي الجميل أو أبوليناريا الراهبة السنكلتيكا (ريبة القديسين) ابنة أحد رجال البلاط الملكي.

وكان وجهه يضيء بالنعمة، ولكن بصورة ملفتة للنظر، حتى أن آباءً كثيرين شهدوا بأن وجهه كان يضيء في الظلام، فأسموه بالمصباح المضيء. وقد انتقلت هذه الصفة أو هذه التسمية إلى دير، فدعي كذلك بمصباح البرية المضيء أو الدير المضيء، مكان الحكمة العالية والصلاة الدائمة.



صورة الأب المضيء القديس أنبا مقار الابس الروح أب آباء رهبان شهيت، صديق الشاروويم

(ميلاده عام ٣٠٠م - نياحته ٢٧ برمهات / ٥ أبريل سنة ٣٩٠م)

ولكن أعظم صفات أو مميزات القديس مقاره كانت القوّة الإلهية
الحالّة عليه، والتي دُعيت بالشاروويم التي كانت مصدر قوّته وإلهاماته
وحسن تدبيره وسلطانه المخيف على الأرواح النجسة.

ثانياً: ذهاب القديس مقاريوس إلى شيهيت:

قدّم القديس مقاريوس إلى الإسقيط، أي شيهيت (وادي النطرون) على
أثر رؤيا خاصة رآها وهو يصلي في بلدة شبشير (منوفية) التي رُسم كاهناً
عليها، ولم تكن برية شيهيت غريبة عليه، لأنه كان يتردّد عليها في أيام
صبوته مع قوافل الجمال التي كانت تعمل لحساب والده كاهن القرية، إذ
كانت تنقل النطرون من وادي النطرون إلى ترنوت (الطراثة الآن) على
النيل، حيث كان يُحمّل في المركب ويصدر إلى فرنسا وبلاد أخرى كثيرة.

وتحت تأثير الفرح من الرؤيا التي رآها، إذ ظهر له الشاروويم بمنظر
نوراني بهيج وشجّع، قام وسار إلى شيهيت حتى بلغه. ثم وقف حائراً
يصلي ويطلب من الله أن يريه مكاناً لائقاً يسكن فيه، فقال له الرب على
فم الشاروويم: "هذه الإرادة هي لك، ها كل البرية أمامك لأنني أخشى لئلا
أعطيك وصية أن تسكن هنا أو هناك فيقاتلك الضجر أو الاضطهاد وتخرج
من ذلك الموضع وتتجاوز الوصية فتخطئ. فليكن سكناك بسلطانك".
وشجّع الشاروويم وقال له: "إنني سأكون معك كل وقت، كأمر الرب".

وكان القديس مقاره في ذلك الوقت قد ناهز الأربعين عاماً من
عمره، ولما كان مولده في سنة ٣٠٠م. فتكون بداية توحده في شيهيت
حوالي عام ٣٤٠م.

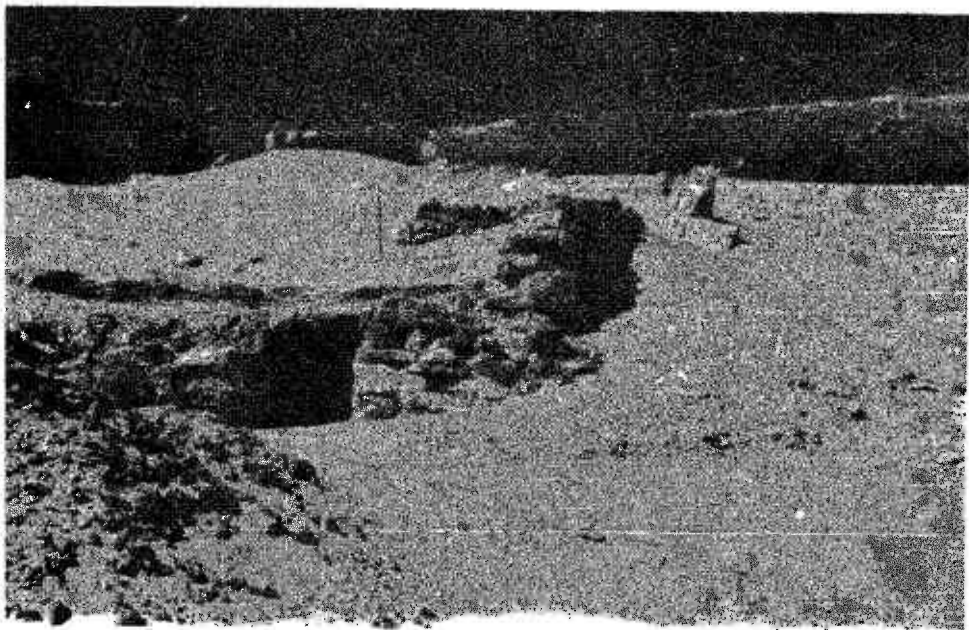
بداية دير اليراموس:

وقد اختار القديس مقاره المكان المعروف الآن بدير اليراموس، وحفر نفسه مغارة وبدأ يتعبّد بنسلٍ كثير. وسرعان ما ذاع صيته واجتمع حوله عديد من المريدين الذين أحبوه حبًّا جمًّا بسبب أبوته وحكمته والنعمة التي كانت عليه.

وبحسب التحقيق، فإن القديس أنبا مقار مكث في هذا المكان ما يقرب من عشرين سنة حتى اكتمل دير اليراموس واكتظّ بالمتوحدين الذين كانوا يعيشون في مغائر حول الكنيسة الرئيسية، إذ لم يكن هناك أسوار بعد.

وقد قام القديس أنبا مقار في هذه المدة بزيارة القديس أنطونيوس مرتين، المرة الأولى عام ٣٤٣ م. والثانية عام ٣٥٢ م. وقد تسلّم من القديس أنطونيوس فضائله وتعاليمه، وألبسه أنطونيوس الإسكيم المقدّس، وسلّمه عكازه. فكان هذا نبوءة عن تسليم مقاريوس رئاسة الرهينة بعد أنطونيوس. وقد شهد له القديس أنطونيوس بأن قوّة عظيمة كانت تؤازره بقوله له: "إن قوّة عظيمة تخرج من هاتين اليدين".

كما كان القديس مقاريوس يتردّد عليّ إقليم نتريا - حيث كانت جماعة الرهبان بقيادة القديس آمون، ليصلي في الكنيسة هناك كلما أراد الشركة في جسد الرب ودمه، لأنه لم تكن قد بنيت كنيسة في شيهيت إلا بعد زيارة القديس مقاريوس الثانية للقديس أنطونيوس أي سنة ٣٥٢ م.



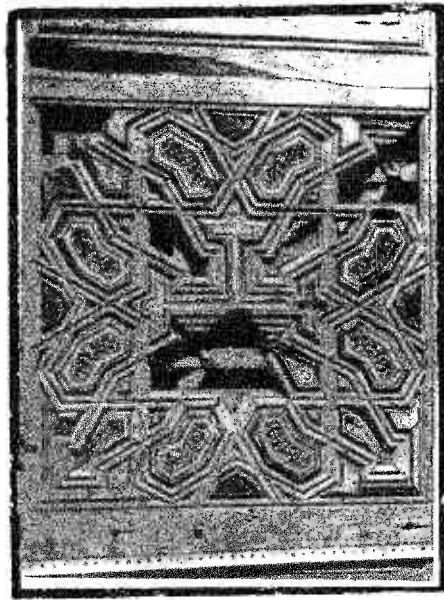
مغارة القديس أنبا مقار
(اكتشفت حديثاً)

بداية دير القديس أنبا مقار

انحدر القديس مقاريوس من شمال وادي النطرون إلى أقصى جنوبه بعد أن اكتظت المنطقة الشمالية بالمتوحدين وكان قد ابتنى لهم كنيسة، وترك لهم تلميذه بفنوتيوس يدبر لهم حياتهم. وكان ذلك حوالي سنة ٣٦٠م حينما كان عمره قد بلغ الستين عاماً.

وهنا في جنوب الوادي وعلى طرف السطح الصخري حفر لنفسه مغارة ذات سرداب طويل ينتهي بمغارة سرية يلتجئ إليها، ليتحاشى مقابلة الزائرين، لأنه كان محباً للوحدة والسكون إلى أقصى حد (عشر الدير أخيراً على مغارة القديس ذات السرداب - انظر الصورة أعلاه).

ولكن سرعان ما تكاثر تلاميذه وتجمّعوا في مجموعات وبنوا مساكن متفرقة تُدعى "منشوبيات" وهي كلمة قبطية تفيد معنى السكن التجمعي أو الفردي. وقد بدأوا فرادى ثم ازداد عددهم جداً حتى صار عدة ألوف. وكان لا يجمعهم معاً إلا حضور الكنيسة الأسبوعي في يومي السبت والأحد لسماع التعليم والتناول من القربان المقدس.



حشوة خشبية تثمل صليباً من خشب الأبنوس مطعم بالعاج الأبيض، دقيق الصنع ويمثل مدى ازدهار الصناعة اليدوية الدقيقة وابتكار الأشكال الهندسية الرائعة التي تميّز بها الأقباط في أحد العصور الزاهية، يرجع تاريخه للقرن الثالث عشر/ الرابع عشر، وهو محفوظ حالياً بمكتبة الدير.

وصف الدير

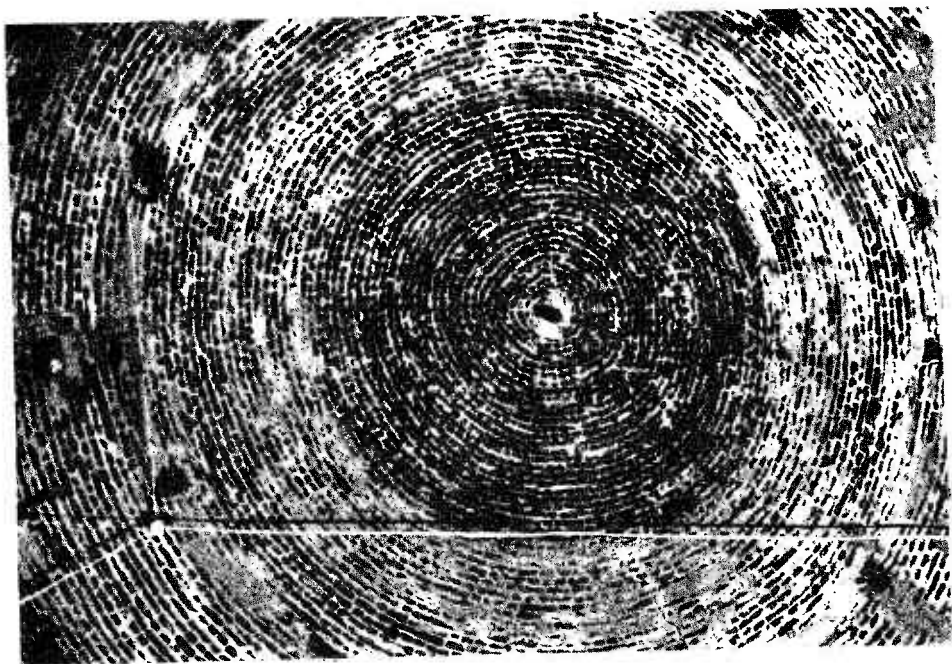
عند مبدأ ظهوره في نهاية القرن الرابع

حينما بدأ دير أنبا مقار في الظهور حوالي سنة ٣٦٠م كان بدون أسوار أو حصون، بدأ بقلاية واحدة لأنبا مقار التي بناها في طرف الصخرة. وحوها من بعيد كانت هناك عدة مئات من القلايات المبنية بالطوب النقي والمسقوفة بالجريد. وكان لا يتحكّم في شكل القلاية أو طرازها إلا عاملان أساسيان هما الفقر المدقع عن رغبة وليس عن ضرورة، ثم التزام الهدوء لممارسة الوحدة والصمت.

ثم بُدئ ببناء الكنيسة، ومعها ظهرت قلالي مرافقة للمائدة وللخدمة والضيافة والمخازن ومكان لراحة المرضى. وازداد العدد فبلغ قرب نهاية حياة أنبا مقار حوالي ٢٤٠٠ راهب.

ولما تنيح القديس مقار سنة ٣٩٠م ودُفن في مغارته التي أحبها وعاش فيها أكثر من ثلاثين عاماً، ارتبطت الجماعة كلها بالمكان وصارت القلاية التي تحوي جسده الطاهر نقطة الارتكاز الأساسية لتثبيت المكان واسمه على ممر الدهور. وأصبح جسد أنبا مقار ذخيرة الدير الثمينة التي يتناقلها الخلف عن السلف، من عصر إلى عصر حتى يومنا هذا. فمن أجل هذا الكنز وكرامة سيرته شُيّدت الكنائس وزُيّنت الهياكل، وبقي الدير كقلعة شائخة، يحكي على مدى السنين قصة أنبا مقار ونسكه وعبادته

وأمانته لسيدته، والنعمة التي كانت عليه، والتي بلغت إلى مستوى الرسل.



صورة قبة الأنبا بنيامين
الأثر الخالد الذي لا يزال يحمل ذكرى دخول العرب مصر في القرن السابع

(أ) عصر الحصون والأعمدة الرخامية

بدأ دير أنبا مقار يدخل في عصر عمارته الذهبي قبل بداية الغارة الثالثة سنة ٤٤٤ م وبالتحديد بعد سنة ٤٣٨ م، أي بعد غارة البربر الثانية على المنطقة، حيث بدأت أولى ملامح العمارة ببناء حصن "الييامون" لإيواء الرهبان في أمان وقت الغارات.

ولكن بحلول سنة ٤٨٢ م بدأت بالفعل العمارة الكبرى، وذلك بسبب

النهضة المعمارية والروحية الحديثة منذ ١٩٦٩

دخول الأميرة "إيلارية" بنت الملك زينون (توفى سنة ٤٩١م) هاربة من قصر الإمبراطور متخفية في زي رجل، حتى وصلت للدير وانخرطت في جماعة المتوحدين في زي راهب؛ الأمر الذي لما علمه الملك بدأ يغدق على الدير بسعة، وأرسل مهندسيه لعمارة الدير وتحميله بالأعمدة الرخامية. ولا تزال بقايا مئات من القطع الرخامية من بقايا أعمدة وتيجان ونقوش التي عثرنا عليها في وسط الأنقاض المدفونة تبرهن على صدق هذه الرؤية. (انظر اللوحات في الصفحات التالية).

(ب) عصر النهضة الرهبانية

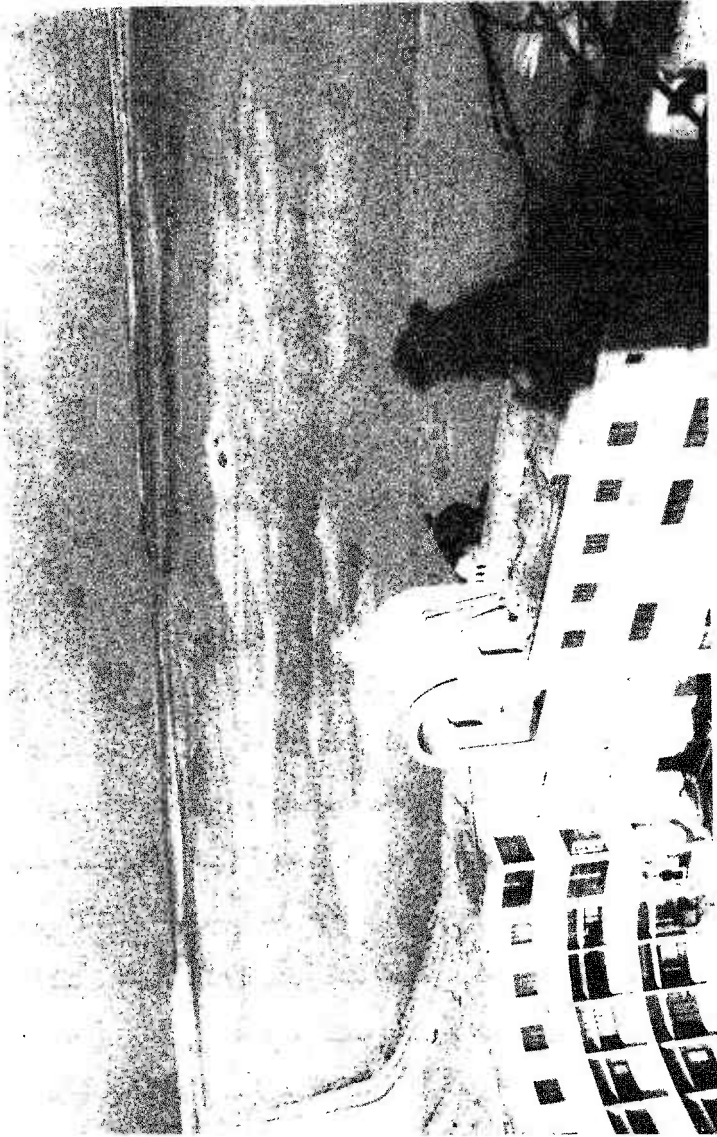
وانتقال مدرسة الإسكندرية اللاهوتية إلى الدير

بدأ هذا العصر على وجه التحديد سنة ٤٥١م على أثر فظائع الاضطهاد المريع الذي عانته كنيسة الإسكندرية من كلا السلطتين الإمبراطورية والكنيسة البيزنطية. فقد نُفي القديس ديسقوروس وطُرد البطريرك الذي انتخبه الأقباط خلفاً لديسقوروس من الإسكندرية، فالتجأ إلى دير أنبا مقار ومعه فلول مدرسة الإسكندرية من طلاب وأساتذة.

وهكذا بدأ دير القديس أنبا مقار ليؤدّي وظيفته الجديدة كمقر للكرسي البطريركي وكمركز عملي ثقافي أعلى لكل البلاد. وكان نتيجة ذلك أن حمل دير أنبا مقار المسؤولية الكاملة من جهة كل الترتيبات الكنسية من طقس ولاهوت وقانون، كما أمد الكنيسة بالأساقفة والبطاركة العلماء عدّة قرون متوالية، وارتفع مستوى مكتبة الدير فصارت تضم ستة آلاف مخطوطة - تملأ الآن متاحف ومكتبات العالم بعد أن سطا عليها لصوص المكتبات الأفاضل. وقد أدّت هذه المخطوطات دورها العلمي والثقافي وأنارت على أوروبا منذ عصورها

المظلمة حتى يومنا هذا.

وقد بلغ عدد الرهبان في بداية هذا العصر حوالي ٣٥٠٠ راهب.



صورة آثار المشويبات القديمة حول الدبر

(ج) نكسات ثم انتفاضات متوالية على أثر غارات البربر

وبعد هذا الازدهار أصيبت الأديرة بنكسة أودت بكثير من معالم نهضتها، فقد وقعت الغارة الرابعة سنة ٥٧٠م فتركت الأديرة فارغة مهذمة. وعاد اضطهاد الوالي كيرش البيزنطي سنة ٦٣١م بدوافع دينية عقائدية وعنصرية، فزاد الضيق بالرهبان حتى هجر معظمهم الأديرة والتجأوا إلى الأماكن القريبة من المدن وخصوصاً حول دير نهيا بالجيزة، كما يخبرنا أبو صالح الأرميني في كتابه "تاريخ الكنائس والأديرة": "فخرج دير نهيا وبجواره توجد قلالي كثيرة تابعة للآباء الرهبان الذين جاءوا من دير أنبا مقار زمن بطيركية أنبا بنيامين." (٦٢٣-٦٦٢م).

(د) عصر المنشويات (الأديرة الصغيرة) وبناء الكنائس

ابتدأ هذا العصر بزمن دخول العرب مصر سنة ٦٤١م حينما أعطى عمرو بن العاص الأمان للرهبان وصرّح لهم بإعادة بناء أديرتهم وكنائسهم. وكان وقتذاك المدبرّ لدير القديس أنبا مقار قمص شيهيت المشهور أنبا يؤانس. وكان ذا همّة ونشاط معماري. وقد قامت في أيامه عدة منشويات شهيرة وهي عبارة عن أديرة صغيرة (مازال آثارها باقية حتى الآن) كان يسكنها نخبة من قديسي البرية الأفاضل العلماء.

واشتهر رؤساء هذه المنشويات بمقدرة فذة في القيادة والتدبير والعلم والتأليف. واشتهرت هذه المنشويات بأسماء خاصة مثل "الدنشيري" أي "القلالية الكبرى"، وقلالية التسعة والأربعين شهيداً، ومنشوية أنبا يؤانس،

ومنشوية إبراهيم وجورجي أعظم قديسي القرن السابع، ومنشوية زكريا (وهو دير زكريا الواقع غرب الدير الآن). وزكريا هذا قديس مشهور صار أسقفاً لمدينة صا. وهذا الدير الصغير هو الذي كان يسمى بالدنشتيري، وقد تخرّج من هذه المنشوية أساقفة وبطاركة كثيرون، منهم أنبا ميخائيل الخامس (١١٤٥-١١٤٦م)، وظلّت هذه المنشوية عامرة بالرهبان، وكان بها كنيسة جميلة ظلت قائمة حتى القرن الرابع عشر، ومنشوية أنبا أغاثون وهي التي تخرّج فيها أنبا صموئيل المعترف صاحب دير القلمون الشهير. وأغاثون هذا، هو القديس أغاثون العمودي.



صورة لبقايا كنيسة أنبا مقار
بعد تهدم قبة هيكل يوحنا المعمدان عام ١٩٠٩

ومنشوية ”درودي“؛ وهذا الاسم اختصار لكلمة دوروثيوس، وهو القديس الذي تعلّم على يديه وتخرّج من فلايته أنبا يوانس كاما (الموضوع جسده في دير السريان الآن). وقد تخرّج من هذه المنشوية أنبا غبريال البطريك ٥٧ (٩٠٩-٩٢٠م).

وغير ذلك كثير من المنشويات العديدة التي تخرج منها كثيرون من الأساقفة والبطاركة. وكانت تتميز بعضها عن البعض بالتخصصات المتنوعة، فمنشوية زكريا اشتهر رهبانها بحفظهم التسبحة والمزامير وجميع الصلوات عن ظهر قلب، ولم يكونوا يسمحون لأي راهب أن يسكن معهم إلا إذا أتقن أولاً حفظ كل علوم البيعة وطقوسها وألحانها. كذلك قلاية الدماهرة اشتهر بفن النساخة، فكان بها كتبة ماهرون.

ولم يأت القرن التاسع حتى صارت برية أنبا مقار عامرة بألف منشوية، يصفها أحد الرهبان الزائرين (سنة ٨٠٠م) المدعو إيفانيوس من أورشليم بقوله: [وكان دير أنبا مقار عبارة عن قلعة (الحصن) يحيط بها ألف منشوية].

(هـ) عصر الأسوار العالية

يبدأ هذا العصر بعد سنة ٨١٧م حيث وقعت آخر غارة عنيفة للبربر على الأديرة وتركبتها مهدّمة ومحرقة بالنار، حتى لم يفلت أي مبنى من الدمار أو النار. وبسبب ذلك ومنذ ذلك الحين عوّل الرهبان على إقامة التحصينات وبعض الأسوار لحماية أنفسهم من سطوة العرب البربر المخربين.

وقد بدأت هذه الأسوار في الظهور للقادم من بعيد حوالي سنة ٨٧٠م، وكان ذلك على يد البابا شنودة الأول (٨٦٥-٨٧٧م) على أثر

هجوم البربر على الدير أثناء وجوده في الدير خلال أسبوع الآلام.
أما هذا السور فأقيم حول كنيسة أنبا مقار وملحقاتها لتكون ملجأ
للرهبان أثناء الصلاة بالإضافة إلى الحصن. وقد بدئ في بناء بعض
قلاليات قليلة للطوارئ بجوار الكنيسة داخل الأسوار. فكان هذا أول
انحصار في المباني ليكون شكلاً بدائياً للدير، جنباً إلى جنب مع مئات
المنشوييات العامرة المحيطة به على اتساع هائل.

(و) انتهاء عصور الحياة التوحيدية وبداية السكنى الشاملة داخل الأسوار

ظلل ازدهار الحياة التوحيدية قائماً في دير أنبا مقار حتى سنة ١٣٤٦م، حيث
كان عدد الرهبان حوالي ٤٠٠ راهب يعيشون في قلايهم المتفرقة خارج
أسوار الكنيسة (كانت الأسوار تضم الكنيسة وملحقاتها والحصن فقط).

ولكن منذ ذلك التاريخ بدأت تتوارى أمجاد الحياة التوحيدية، ودخلت
الرهينة في عصورها المظلمة. وكان السبب الرئيسي في ذلك كارثتين:

الأولى: بدء اضطهاد لم ير الأقباط له مثيلاً، فقد كان هذا القرن
شؤماً على الكنيسة، كما يقول المؤرخ "المقريري" المسلم، إذ
خربت فيها الكنائس تخريباً فظيعاً وصودرت أملاكها
وهُدمت أديرتها وضوّعت الجزية على الأقباط، وقُتل مَنْ قُتل
وأسلم مَنْ أسلم حتى أشرفوا على الفناء، وذلك كان على يد
الملك الصالح بن قلاوون وهو من المماليك البحرية.

الثانية: أما الكارثة الثانية فهي وقوع وباء الطاعون في ذلك التاريخ
وكان يُدعى "بالموت الأسود"، فقد حصد مئات الآلاف

وترك البلاد في مجاعة والأرض خراباً. ويقول "المقريزي" إنه كان يهلك يومياً وفي القاهرة وحدها ما بين عشرة آلاف وعشرين ألف نسمة، حتى تركت أحياءُ برمتها خراباً لا يسكنها ساكن.

ولم تُفَقُ البلاد من موجة الطاعون الأولى سنة ١٣٤٩م حتى تلتها موجة ثانية سنة ١٣٧٤م، يقول عنها المقريزي إن البلاد بعدها بدأت تسير سيراً حثيثاً نحو الخراب، حتى عام ١٣٨٨م.

فماذا أصاب الأديرة في هذه المحنة العُظمى التي دامت ٥٠ سنة؟ وماذا كانت حالة الأديرة؟ هذا ما لم يعرفه أحد، إذ انقطعت جميع الأخبار ولم يمدنا التاريخ بشيء.

ولكن ما أن أفاق التاريخ من إغماءته المحزنة، حتى بدأت الإشارات تأتي تباعاً على هوامش المخطوطات وألسنة السائحين والزائرين. فقد تهدمت القلالي وخربت المنشويات وتساقطت الكنائس تحت سطوة الرياح والرمال والأمطار وعبث العابثين، ولم تلبث أن صارت أطلالاً كما نرى آثارها اليوم. ودخلت القلة القليلة الباقية من المتوحدين، الذين دخلوا صاغرين داخل الأسوار يحتمون بها من الفقر والجوع والمرض.

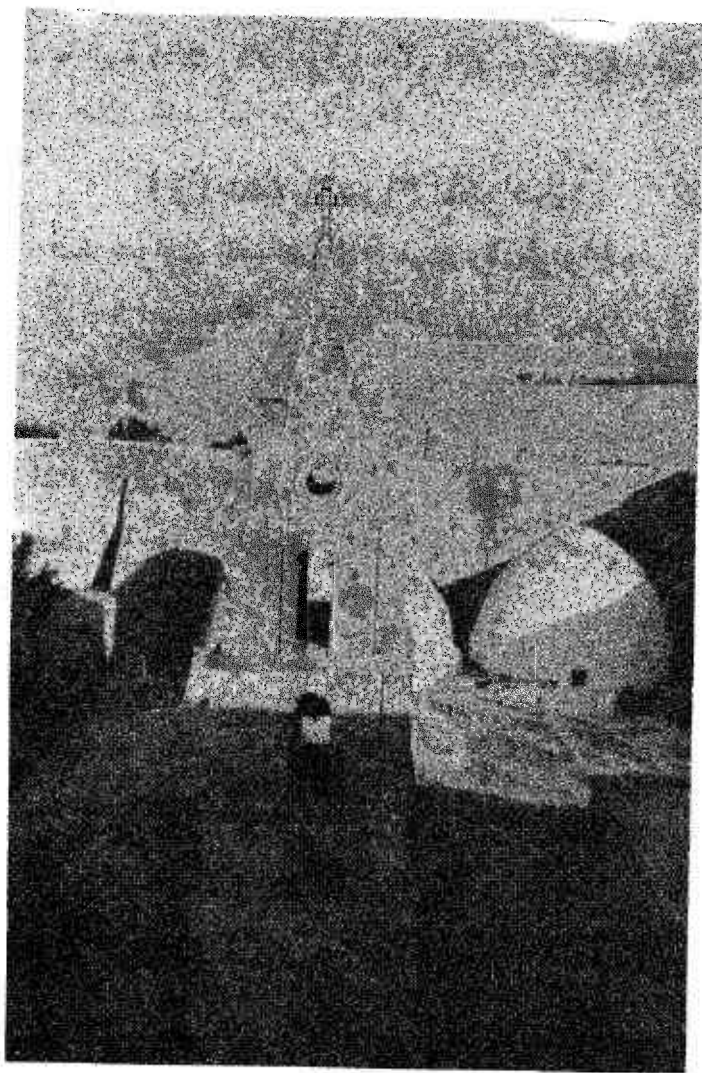
وخارج الدير الآن وفي الجهة الغربية منه على الصخرة توجد آثار المقابر التي تحكي قصة هذه الفاجعة حيث كانت تُلقى المئات من أجساد الرهبان يومياً. وتمتد هذه المقابر المتتالية إلى مسافة عدّة كيلومترات! وإليك شهادة أصيلة في كتاب الخطط والآثار صفحة ٣٣٩ للمؤرخ المسلم "المقريزي" المتوفي سنة ١٤٤١ تصف باختصار كل هذا معاً:

[ويقولون إنه كان يقيم بهذا الدير ألف وخمسمائة راهب ولكن لا يوجد به اليوم (ذلك كان حوالي ١٤٣٠م) سوى عدد صغير، ويُرى خارجه أطلال عدد كبير من الأديرة].

(ز) عصور الصراع المتواصل ضد عوامل الفناء والاضطهاد والفقر والجهل

ومنذ القرن الرابع عشر حتى القرن العشرين والدير يصارع بلا هوادة ضد عوامل التخريب المحدقة من كل جانب: عوامل الزمن مع عرب مُغيّرين، وفقر مدقع وجهل كان سببه المباشر موت اللغة القبطية المدون بها كل أجداد الآباء الروحية والطقسية واللاهوتية. ثم أُميّة الآباء حتى في اللغة العربية، مما جعل استمرار التقليد والتراث العلمي أمراً محفوفاً بالمصاعب والمستحيلات!!

كما عانى الدير في هذه السنين الطويلة من لصوص المخطوطات الذين كانت توفدهم أعظم مكتبات الغرب، وكان منهم الأساقفة والكهنة والعلماء بالإضافة إلى تجار المخطوطات وهواة جمع الآثار. هؤلاء كانوا يمثّلون أخطر وأكبر عوامل التخريب التي امتُحِنَت بها الأديرة القبطية، وكثيراً ما كانت المراكب تُشحن بالمخطوطات النادرة ثم تسقط في البحر وتغرق بما فيها ...



صورة قديمة لكنيسة أنبا مقار وهي ملاصقة للصور ويظهر بها المنارة القديمة التي
بنيت عام ١٩٢٩ (قبل الإصلاحات الأخيرة)

شهادة من السائح والزائرين

على حالة الدير السيئة على مدى هذه العصور المتوالية

+ السائح الفرنسي Thèvenot سنة ١٦٥٦م:

[كان دير أنبا مقار أكثر الأديرة الأربعة تهدماً وتخريباً. وقد انهارت الكنيسة الكبرى وتهدمت، وهي التي كانت ذات خمسة هياكل سابقاً. ولكنها ظلت محتفظة بمسحة من الجلال والمجد].

+ السائح الفرنسي P. Claude Sicard سنة ١٧١٢م
وهو من جماعة الجوزيت:

[كان الحصن مرتفعاً عن الأسوار بمقدار نصف ارتفاع السور، وكان الدير يحتوي على كنيستين: واحدة منها صغيرة وكاملة، والكبيرة نصف خربة، وقد تبقى منها خمس قباب محمولة على عشرين عموداً من الرخام القوطي. ولها خمسة مذابح. وكان يوجد بالدير أربعة رهبان والقسيس الرئيس].

+ السائح الجنرال أندريوسي سنة ١٧٩٩م:

[كانت حالة الرهبان يرثى لها وعددهم عشرون راهباً. وكانت المباني كلها متداعية].

+ السائح روبرت كيرنون سنة ١٨٣٧م:

[يوجد في دير أنبا مقار أربعة رهبان والدير في حالة يرثى لها،

والخرائب تحيط به من كل مكان].

+ السائح السير جاردنر ويلكنسون سنة ١٨٤٤م:

[عدد رهبان الدير خمسة عشر راهباً معظمهم مرضى. وقد استرعى انتباهي آثار الدير المجيدة والنقوش، سواء في الكنائس أو القلالي، وكان لها رونق وجمال].

+ السائح الأثري إيفلين هوايت ومعاونوه، مرسلًا من متحف المتروبوليتان بنيويورك (١٩١١ - ١٩٢٩م):

[بداية حركة ترميم شاملة، إعادة الصلاة في كنيسة القديس أنبا مقار بعد ترميمها، والاحتفاظ بالخورس الأول فقط، وإزالة باقي ما تهدم من صحن الكنيسة وعدم القدرة على إزالة بقايا الهدم والردم فأبقي عليه وفرشه داخل الكنيسة وخارجها، فارتفع مستوى الأرضية حوالي متر^١. وبدأت الصلاة في كنيسة أنبا مقار سنة ١٩٢٩م.

^١ لقد انتفعنا كثيراً بمعلومات هذا السائح الأثري، وقمنا سنة ١٩٧٧ بمعاونة مصلحة الآثار بالكشف عن أرضية الهياكل وصحن الكنيسة الأصلي، فعثرنا عليها بعد رفع الأتربة المتراكمة فوق الأرضية وكانت حوالي ٧٥ سم، ورفعنا الموقع كله بهياكله وصحن الكنيسة على لوحة هندسية. وقام العلامة الأثري الألماني Herr Grossmann بمعاونة الأستاذ عبد الرحمن عبد الثواب مدير هيئة الآثار الإسلامية والمسيحية بالتقاط صور فوتوغرافية لها؛ وفي هذه الأثناء اكتشفنا هيكلًا كاملاً، بدرجاته التقليدية الثلاث ناحية الشرق، وبها رسومات وزخارف ملونة ذات رسوم رمزية ترمز لسر الإفخارستيا وسر المعمودية وبعض الزخارف احتفظت بألوانها زاهية كأنها رُسِمت بالأمس، مع أن هذا الهيكل يرجع زمنه إلى حوالي القرن السادس الميلادي.

وقد قمنا ببناء أسواره وسقفه بقبة تقليدية على نمط قبة أنبا بنيامين، وانضمَّ هذا الهيكل إلى كنيسة القديس أنبا مقار. فصار بها ثلاثة هياكل عوض هيكلين. ومن المخطوطات والحفائر، تحقَّقنا أنه الهيكل الذي كان يُسمَّى "هيكل الفتية الثلاث" (١٥ ٣).

كذلك عثرنا، بعد رفع الأتربة عن أرضية الخورس الأول، على قبو تحت الأرض، على عمق قمامي رجل، فتأكَّدنا أنه المكان المذكور في المخطوطات (راجع كتاب الكشف الأثري عن رفات القديس

بناء مبنى منارة جرس الدير (قطره ١,٢٥ متراً، مصنوع في إنجلترا
في مصانع شيفلد سنة ١٨٦٦).

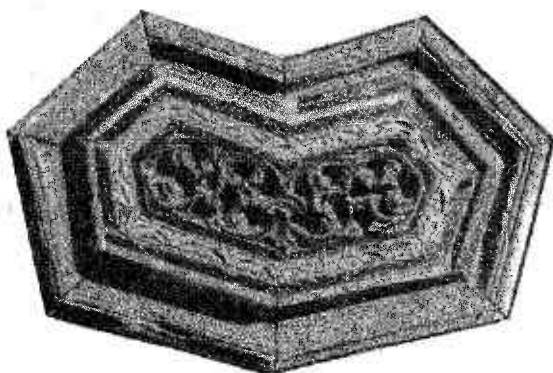
بناء مقر للضيافة سنة ١٩٢٠ م. بمباشرة أنبا باسيليوس مطران
أبوتيج].

أول آلة بالدنزل لرفع المياه وطحن الغلال:

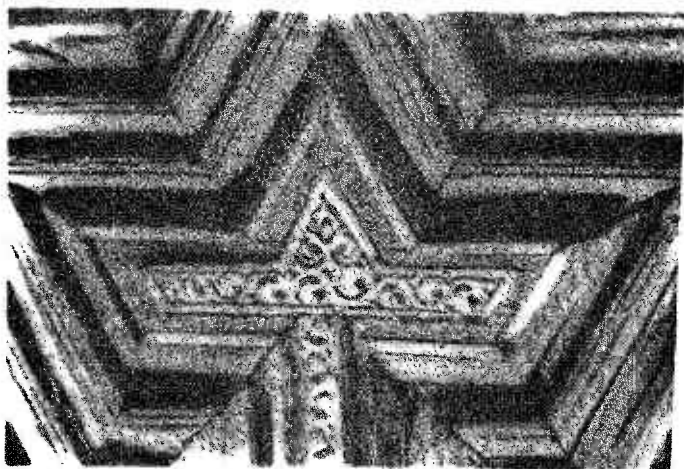
قام بشرائها أنبا أبرآم مطران البلينا سنة ١٩٣١ م (ماركة ناشيونال)،
وحفر بئراً على عمق ٤٦ متراً وعثر على مياه عذبة نوعاً ما لأول مرة في
تاريخ الدير. واستصلح حوش الكنيسة وجعله حديقة، واشترى طاحوناً
ميكانيكياً للغلال بدل طاحون الحجر الذي كان يديره ثور بقر. وأدخل
التيار الكهربائي داخل الدير.

ولكن كان نتيجة هذه الصحوة المعمارية منذ ١٩٢٠-١٩٣١ م أن
اكتظَّ الدير على ضيقه الشديد بالمباني المتلاصقة في غير نظام، علماً بأن
الدير في أصله حينما بدئ ببناء أسواره منذ القرن التاسع لم يكن أصلاً
ديراً لسكنى الرهبان، بل كنيسة وحصناً محاطين بأسوار لتكون ملجأً عند
الغارات. كما أن إنشاء حديقة، تُسقى بالمياه كل يوم، ملاصقة للكنائس
والأسوار المبنية بالطين والقديمة جداً، تسبب في تصدُّع المباني جميعاً
وإتلاف كافة قباب الكنائس الأثرية إتلافاً شديداً.

يوحنا المعمدان وأليشع النبي - الذي أصدره الدير، المدفون به جسد أليشع النبي وجسد يوحنا
المعمدان، فقمنا بالصلاة ورفع القداس، وبدأنا برفع الأتربة، فعثرنا على العظام المذكورة. فأخرجناها
بوقار عظيم ووضعناها في تابوت جيد موجود بحري الخورس الأول الآن فوق القبو المذكور.



إحدى الحشوات المصنوعة من خشب الأبنوس المنقوش والمطعم بالعاج الأبيض، وهي تكون جزءاً من صليب دقيق الصناعة محفوظ حالياً في مكتبة الدير



أحد أطراف الصليب (المنشور صورته صفحة ٣٧)
ويبدو فيه دقة وجمال النقش على العاج الأبيض المطعم في خشب الأبنوس

أهم المعالم الأثرية في دير أنبا مقار

كان همنا الأول أثناء عمارة الدير وترميمه الحفاظ على كل أثر قديم في الدير مهما قلَّت قيمته، بل وقد اكتشفنا أثناء الحفر وأثناء إزالة الجدران الحديثة بعض الأجزاء المعمارية والقطع الرخامية الأثرية القيمة التي كانت مطموسة داخل الأسوار أو خلف الطبقات الحديثة من البياض الجبسي السميك أو تحت التراب.

فمثلاً عند دخولك الدير ونزولك على السلام الكبيرة للوصول إلى كنيسة أنبا مقار ستعبر من تحت قوس أثري عظيم من الطوب الأحمر الجميل، وهو عبارة عن مقوصرة arch ضخمة، كانت هي المدخل البحري القديم لكنيسة أنبا مقار فيما قبل القرن التاسع، ويرجح أنها من القرن السابع لأنها على نخط مقوصرة هيكل أنبا بنيامين الذي أُقيم في زمن البابا بنيامين (البطريك ٣٨) في منتصف القرن السابع، أي يقدر عمرها بأكثر من ١٣٠٠ سنة. وقد عثرنا عليها أثناء إزالة طبقات السور الذي بُدئ ببنائه وتعليته حول الكنيسة منذ القرن الرابع عشر، وما أُضيف على هذا السور من طبقات سائدة أخرى خارجية ملاصقة بُنيت في القرون الحديثة، نظراً لتداعيه بسبب إقامة مراحيض تحته مباشرة.

ولقد بذلنا مجهوداً فنياً لا يُصدَّق استغرق ستة أشهر حتى استطعنا أن نحصر هذا القوس الأثري العظيم المتداعي في كل أجزائه، نحصره بطبقة

حاملة من الخرسانة المسلّحة من أسفله ومن أعلاه، ونضمّه من جانبيه بدعامتين من الخرسانة المسلّحة ذات مدادات أرضية وكتفين من الحجر الضخم لحفظ توازنه، بعد أن كشفناه من كل ناحية وفرغنا داخله من المباني التي كانت تسده. هذا الأمر الذي لما اطلع عليه مهندسو الآثار تعجّبوا كيف وقف لنا هذا القوس طائعاً مستسلماً وهو متهالك، ثم كيف ضبطناه هكذا بهذه القوّة. ولكن السر في هذا وفي غيره، كانت الصلاة الكثيرة التي قدّمناها لله من أجل انفتاح البصيرة والمعونة الإلهية.

١ - كنيسة أنبا مقار

(١) هيكل أنبا مقار

أثر خالد بدأت نواته الأولى سنة ٣٦٠ م جذب إليه الأجيال المتلاحقة، والذي منه انطلقت إلى السماء مئات الألوف من النفوس التقية لتكميل شهادات للمسيح في السماء بعد أن شهدت في الأرض.

أعيد بناؤها في أيام البابا بنيامين (البطريك ٣٨). في زمن دخول العرب، ودشّنها هذا البابا بدعوة من شيوخ البرية سنة ٦٥٥ م، ولا يزال هيكلها الكبير المعروف بهيكل أنبا مقار بقبته الضخمة قطر ٨ متر على طوبة واحدة، ويُدعى أيضاً باسم "هيكل أنبا بنيامين" منذ يوم دشّنه حتى اليوم. ولكن قبته تساقطت عدّة مرّات ورُمّمت عدة مرات، والناظر إليها بتدقيق يستطيع أن يعد مرّات السقوط والترميم لاختلاف لون "المونة".

والكنيسة الآن لا تحمل من أجزائها الأثرية الأولى سوى هيكل أنبا بنيامين وهيكل يوحنا المعمدان (أو مار مرقس) فقط. ثم اكتشفنا وأعدنا بناء هيكل الثلاثة الفتية الذي دشّن بيد قداسة البابا شنودة الثالث يوم

الأحد ١٠ ديسمبر ١٩٧٨ باسم هيكل أنبا مقار.

كانت الكنيسة يوم دُشنت قديماً ذات بهجة وجلال بسبب جمال الصور والنقوش والأعمدة الرخامية، وبسبب ارتفاعها واتساعها، لأنها كانت تمتد من الجهة الغربية حتى كنيسة الشيوخ الشهداء التي كانت أصلاً جزءاً من كنيسة القديس أنبا مقار.

وقد قامت بعثة الآثار الفرنسية بقيادة الأب جول لوروا بالتقاط هذه الصور بعدساتها الإلكترونية التي بقيت واضحة. (انظر اللوحات صفحتي ٥٦ و ٥٩). وهي برغم ما أصابها من عوامل التعرية من شمس ومطر ورمال ورياح بسبب سقوط القباب وبقائها مهذمة لعدة مئات من السنين (من القرن الرابع عشر حتى بداية القرون الحديثة)، لكن لا تزال بعض هذه الصور محتفظة بأدق الملامح وأزهى الألوان.

ونوجهُ نظر الزائر إلى هيكل أنبا بنيامين (المعروف بهيكل أنبا مقار) حيث صورة الشاروويم الحامل للقبّة في المقرنصة الشرقية البحرية (نصف قبو زاوية حامل للقبّة).

ويلاحظ من سيرة أنبا مقار أن الشاروويم هو القوّة الإلهية التي ظهرت له ورافقته مدى الحياة، لذلك فلا عجب إن كان هو الموضوع الأول الذي ركّز عليه أنبا مقار بدرجة ملحوظة جداً في عظاته الخمسين، كذلك ومن أجل هذا لم يفت على الراهب المصور في القرن السابع أن يصور الشاروويم حاملاً قبّة هيكل أنبا مقار.



صورة أثرية للعدراء مريم
بهيكل القديس يوحنا المعمدان بدير القديس أنبا مقار

ونبه ذهن الزائر أن هذه أقدم وأوضح صورة في العالم للشاروبيم. بـمـمـيزاته الواردة في الأسفار المقدسة حزقيال وإشعيا ورؤيا يوحنا اللاهوتي.

لاحظ وجه الأسد عن الشمال، ووجه الثور عن اليمين، ووجه النسر من أعلى، ووجه الإنسان في الوسط. ولاحظ العيون الكثيرة.

وينبغي أن ينتبه الزائر إلى أن قباب الكنيسة كانت مرتفعة بمقدار متر عمّا هي عليه الآن، وذلك بسبب ما تم من ردم أرضية الكنيسة بطبقة سميكة^١.

كذلك يلاحظ الزائر مدخل الهيكل، وهو عبارة عن قوس عظيم مبطن بالخشب المرسوم عليه أيقونات يمثّل بعضها المسيح في كل أدوار حياته. وكان هذا هو التعبير الطقسي القديم في الفن القبطي عن الحجاب، حيث ليس هو حجاباً يحجب الله عن الناس بل سحابة من الشهود.

(ب) هيكل يوحنا المعمدان (أو مارمرقس):

سُمّي كذلك بسبب وجود جسد يوحنا المعمدان الذي حُمِلَ من فلسطين في أيام القديس أنبا أثناسيوس الرسولي، ودُفِنَ في الإسكندرية، ثم نُقِلَ منها ودُفِنَ في دير أنبا مقار أيام الاضطهاد. وقد عثرنا أثناء حفر أرضية الخورس الأول وأمام هذا الهيكل وعلى مسافة متر تحت الأرض على قبو من الطوب القديم وتعمّقنا أسفله فوجدنا هذه الرفات الطاهرة ورفعناها مع باقي عظام أخرى وتابوت به هيكل جسدي كامل. وقد أصدر الدير تقريراً وافياً تفصيلياً عن هذا الكشف

^١ لقد قمنا برفع هذه الطبقة من الأتربة التي يبلغ سُمكها نحو متر، ونزلنا إلى المستوى الأصلي لأرضية الكنيسة ولكننا لاحظنا وجود أرضية أخرى أقدم أسفل هذه الأرضية بحوالي ٤٠ سم تقريباً.

الأثري وكافة الدلائل التاريخية القديمة.

ولما حُمِلَ رأس القديس مار مرقس ودُفِنَتْ في هذا الهيكل، حملت الكنيسة كرامة رسولية من ذلك التاريخ وسُمِّيت بالكنيسة الجامعة. وأصبح اسم مار مرقس يتبادل مع اسم يوحنا المعمدان لهذا الهيكل.

والباحث المدقق يلاحظ تلازم وجود جسدي يوحنا المعمدان ومار مرقس الرسول في هيكل واحد في دير القديس أنبا مقار، يرادفه توارد هذين الاسمين الكريمين في القداس في بداية الجمع، مما يشير إلى أن "الجمع" من وضع رهبان دير القديس أنبا مقار. ولا تزال الصور الرائعة التي زُيِّنَ بها هيكل يوحنا المعمدان تحتفظ بألوانها الزاهية ودقتها المتناهية رغم سقوط قبة وبقائه في العراء عدة مئات من السنين.

ويُلاحظ الزائر أن أمام هيكل يوحنا المعمدان يوجد جزء صغير من الهيكل ويسمَّى "باليكل الصغير". وهو وإن كان قد حُتِّمَ به الضرورة الهندسية لتفادي بناء قبة الهيكل الكبير على زوايا خشبية أو مقرنصات (نصف قبة)، إلا أنه معروف في الطقس القبطي المعاصر لزمن البابا أثناسيوس أنه كان يوجد بجوار الهيكل هيكل صغير لحفظ القربان قبل تقديمه ولأكل بقايا الذبيحة الطاهرة، ويسمَّى في الطقس "موضع الذورون" أي "موضع الصعيذة".

أما في هيكل أنبا مقار فـ "موضع الذورون" هو بجانبه من الناحية القبليّة وليس أمامه، ويسمَّى في التقليد - "غرفة المجلس" إشارة إلى الموضع الذي كان يجلس فيه الأساقفة والشمامسة لتناول ما يتبقى من الذبيحة بعد مناولة الشعب (الرهبان).



وجه السيد المسيح

داخل عَقْد بالجهة الشرقية من هيكل يوحنا المعمدان - كنيسة أنبا مقار

(ج) أجساد القديسين:

١. أجساد المقارات الثلاثة وأبنا يوانس القصير:

أما أجساد المقارات الثلاث فهم: المصري المدعو بالكبير، والإسكندري، المدعو بالمدني (نسبة إلى المدينة العظمى الإسكندرية)، وأسقف إدقاو الشهيد (إدقاو مدينة بجوار أسيوط).

وُثِرَسم هذه الشخصيات المكرّمة في الأيقونات هكذا:

- أبنا مقار الكبير المصري حاملاً صليباً (رمز الجهاد والإماتة وبذل الذات).

- أبنا مقار الإسكندراني حاملاً سلماً (رمز شغفه باقتناء الفضائل على درجات).

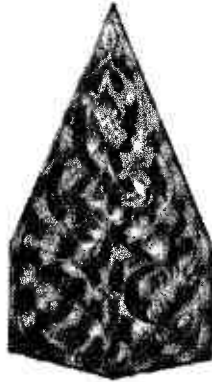
- أبنا مقار أسقف إدقاو حاملاً على ذراعيه حملاً صغيراً (باعتباره راعياً، وباعتباره شهيداً سيق إلى الذبح كسيده، لذلك تُرسم ثيابه ببيضاء اللون).

وقد أجرى الله معجزات كثيرة بتشفعات هؤلاء القديسين على مدى العصور والسنين حتى يومنا هذا.

أما جسد أبنا يوانس القصير، فقد تم نقله إلى مقصورة خاصة به في كنيسة الشهيد أباسخيرون. والقديس يوانس القصير هو ابن أبنا مقار من الرعيل الثاني، ورئيس جماعة الرهبان العظيمة التي كانت تتبعه. وكان مشهوراً باتضاعه وأبوته الحكيمة. ومقر رهبانيته كان جنوب غرب دير أبنا مقار بمقدار ١٥ كيلومتراً. ولما تخرب ديرُه نقلوا جسده إلى دير القديس أبنا مقار.

٢. أجساد البطارقة:

وعدهم بحسب جدول البطارقة ما يقرب من ستة عشر من الباباوات وكلهم من رهبان الدير أصلاً، وقد أوصوا بدفن أجسادهم في ديرهم^٢، لا تعصّباً للمكان ولكن تفاؤلاً بقربهم من شفيعهم وأبيهم الأول، وحينئذٍ منهم إلى موطن جهادهم ودموعهم وسهرهم في شبابهم «لأن عبيدك قد سُرُّوا بحجارتها، وحنُّوا إلى ترابها.» (مز ١٠٢: ١٤)



قطعة من العاج المنقوش ربما تكون واحدة من ستة وتسعين قطعة ماثلة كانت تزين ضلعتي حجاب هيكل إحدى كنائس الدير - وهما الآن محفوظتان في الدور الأرضي بالحصن

^٢ وكانت الأجساد - سواء التي للشهداء التسعة والأربعين أو البطارقة - في العصور الأولى إلى ما قبل القرن الثالث عشر خارج أسوار الدير في دير صغير لهم بقرب دير زكريا (حسيما ورد في الكتاب الطقسي لصلوات طيخ الميرون). ولكن بعد أن تجمّع الرهبان داخل الأسوار أدخلوا الأجساد معهم وظلّت تنتقل من مكان لمكان إلى أن قمنا بجمع أجساد البطارقة معاً في مقصورة واحدة في الخورس الثاني لكنيسة أنبا مقار. ويبدو أن هذه المقصورة كانت في السابق مبنية لهذا الغرض لأن موقعها هو فوق القبور تحت الأرض الذي عثرنا فيه علي عظام أليشع النبي ويوحنا المعمدان، كما وجدنا في هذا القبور تابوتا كاملاً لجسد محنط كامل مدثراً في ملابس الخدمة، اتضح فيما بعد أنه جثمان القمص يوسف رئيس الدير وشقيق البطريك المعاصر ديمتريوس الحادي عشر بعد المائة (١٨٦٢-١٨٧٠).

٢ - كنيسة الشهداء التسعة والأربعين شيوخ شيهيت

من حيث المبنى، كانت في الأصل جزءاً من الأجزاء الغربية لكنيسة القديس أنبا مقار، أما من حيث المحتوى، فقد جمعت جواهر ثمينة لا تُقدَّر بمال.

فهذه الكنيسة تحمل ذكرى إيمان حي وشهادة بسفك الدم، هي ميراث للدير أثنى من الذهب الفاني!!

في الغارة الثالثة على الدير، لما هجم عربان البادية على الرهبان، هرب معظمهم وتحصَّنوا في الجوسق - أي الحصن - ورفعوا السقالة. ولكن تسعة وأربعين من الرهبان القديسين تشجَّعوا بالإيمان وقهروا الخوف ورفضوا النجاة مع رئيسهم العظيم المكرَّم أنبا يوانس القمص، ووقفوا باستعداد تقديم الشهادة. فلما طُلبت قَدِّمُوا رقابهم سهلة طائعة للسيوف اللامعة دون أدنى انزعاج، لأنهم رفضوا النجاة بغية قيامة أفضل وحياة أفضل...

في لحظة من لحظات النهار، وفي ومضة من ومضات السيف. غابت عنهم شمس النهار، وغاب الدير كله، وغابت الأرض والأسوار، وفجأة انفتحت أعينهم على أمجاد ليست من هذا الدهر، وعلى نور عجيب، إنه وجه يسوع ... نهاية المطاف، فكان هو نهارهم وشمسهم وديرهم الجديد وأجرتهم السعيدة! ...

وأما الذين هربوا فقد ماتوا هم أيضاً جميعاً إن لم يكن بالسيف فبغيره، ولا نعلم من سيرتهم شيئاً سوى أنهم لم يكونوا على مستوى الشهادة.

وأما هؤلاء الشهداء فلا يزال دمهم يتكلم أفضل من هايل، يدافعون عن الدين بقوة واقتدار ضد كل مَنْ يخون أو يتعدى، ويتشفعون عن كل مَنْ يتشفع بهم، ويُجرون معونات وتعزيات على مدى الأجيال كلها، سجلها لهم التاريخ. وقد نلنا نصيبنا من معونتهم نحن أيضاً في حينها الحسن.

٣ - قبة الميرون

أثر جليل القدر يحكي عن ميرون^٢ دير القديس أنبا مقار، وكيف حلّت به البركة على كل مولودي نساء مصر ومسحت به كل أباطرة الشرق (أثيوبيا بالذات) وكل أدوات الكنائس.

وقبة الميرون هي أصلاً من كنيسة القديس أنبا مقار الأولى، حيث موقعها هو فوق الكنيسة في الركن البحري الغربي، بُنيت خصيصاً لتكون بمثابة عليّة، وبُدئ بتكريس الميرون فيها منذ أن نقل باباوات الإسكندرية مقر كرسيهم من الإسكندرية إلى دير القديس أنبا مقار بعد الجمع الخلقيدوني مباشرة، أي في نهاية القرن الخامس. وظل الميرون المقدس يُطبخ باحتفال عظيم ومهيب يحضره معظم الأساقفة تحت هذه القبة الطاهرة حتى منتصف القرن الرابع عشر، أي ظلّ

^٢ زيت الميرون يختلف عن زيت مسحة المرضى، فالميرون يُستخدم على يد الأساقفة أصلاً في سر العمد - التثبيت، وإعطاء مواهب الروح القدس للمعمدين والملوك، ولتقديس أواني الخدمة وجرس الكنيسة.

وهو ليس زيتاً ساذجاً بل يُضاف إليه أنواع من البسّم وأصناف من العطور ويُطبخ حسب أصول الصلاة على يد البطريك ومعه الأساقفة والشمامسة، بالتسليم وبمواصفات دقيقة، وهو مستخدم في الكنيسة منذ العصور الأولى، وله كتاب طقسي خاص بطبخه، وقد ذكره ترتليان والقديس أمبروسيوس والمؤرخ ثيودوريت والقديس كيرلس أسقف أورشليم. وكانوا يسمونه المسحة السرية *τὸ μυστικὸν χρῖσμα* والمسحة المقدسة، وأسماء القديس أغسطينوس سر المسحة، وغريغوريوس الكبير أسماء "مسحة الخلاص".

انظر: *Oxford Dict. of the Church* p. 274.

ميرون مصر كلها يخرج من دير القديس أنبا مقار قرابة تسعة قرون متوالية، حيث صُنِعَ آخر طبخة مقدَّسة للميرون على يد أنبا بنيامين الثاني سنة ١٣٣٠م.

وكان ميعاد طبخ الميرون في العصور الأولى هو يوم الجمعة ختام الصوم الأربعيني، ولكن نُقل هذا الميعاد بعد ذلك وصار محددًا في الطقس بيوم خميس العهد، وهو يوم تأسيس سر الشكر (الإفخارستيا).

٤ - كنيسة الشهيد أباسخيرون

(اسم "أباسخيرون" معناه الأب القوي)

وهو شهيد قبطي، شفيع مقتدر، استشهد في زمان اضطهاد دقلديانوس بعد أن تعذب من أجل الإيمان عذابات مريعة تفوق العقل والوصف حيث شُقَّتْ بطنه.

وهذه الكنيسة كانت أصلاً جزءاً من كنيسة القديس أنبا مقار من الجهة القبليّة، وكانت على الأرجح هيكل الثلاثة فتية القديسين. وقد رُمّت بعد سقوط كنيسة القديس أنبا مقار وصارت كنيسة قائمة بمفردها. وكانت هذه الكنيسة متصلة قديماً بكنيسة أخرى قبلي الدير تسمّى كنيسة المغبوط أريستوماخس التي استولى عليها جماعة الغيانين المنشقين في وقت من الأوقات (سنة ٥٣٥م).

وتهدّمت كنيسة أباسخيرون بعد ذلك ولم يبقَ منها إلا خورسها الغربي الذي رُمّم وصار مائدة للدير. والمائدة القديمة الحالية هي جزء منها.

قبة أباسخيرون الرائعة والباب الجميل:

هذه القبة هي إحدى روائع الفن المعماري، ومن أجمل الآثار في الدير، وهي من الطراز المسمى بالقبة الرباعية.

ويلاحظ أن القبة لا تتناسب في مركزها الهندسي مع مدخل الهيكل الأساسي المتوسط، مما يفيد أنها بنيت كرامة لهذا الهيكل بعد سقوط صحن الكنيسة. فالهيكل أقدم من القبة. وقد لوحظ أن المذبح المتوسط في الهيكل مغلق من جميع الجهات، ولم نشأ أن نفتحها، ويُعتقد أن به جسد الشهيد أباسخيرون أو أحد الأجساد الكريمة الأخرى (حسب الطقس القديم جداً الذي يوصي بوضع أجساد الشهداء تحت المذبح).

وقد لاحظنا أثناء ترميم القبة التي فوق هذا الهيكل المتوسط أنها تشابه في الروح الهندسية وكثرة الفتحات المتناسقة قبة أنبا بنيامين، إنما على حجم أصغر، مما يزيد في اعتقادنا أنها من آثار القرن السابع.

الباب الجميل:

وهو الموجود بالخورس الأول من الجهة البحرية، وكان يفتح على صحن كنيسة أنبا مقار الأولى. ولكن بإقامة الجدار الفاصل، أصبح هذا الباب يحصر داخله غرفة صغيرة وكأنها مقصورة جميلة.

وقد صُمم الباب بزخرفة دقيقة وبديعة من الطوب الطبيعي يلفت الأنظار. وهذا يزيد من اعتقادنا بأن كنيسة أباسخيرون الحالية بهيكلها وقبتها الرائعة تحمل ذكرى هامة كأثر خالد، مما حدا بالمهتمين بعمارة الدير حتى في العصور الوسطى إلى إعطاء أولوية العناية لهذه الكنيسة.

حوض زيت مسحة المرضى:

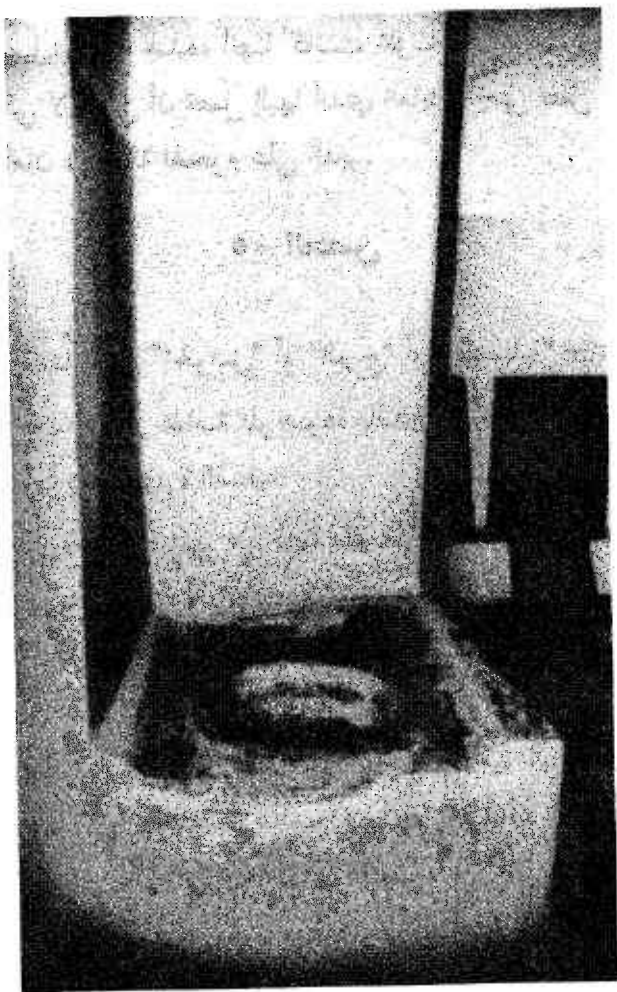
بالمهيكل القبلي لكنيسة أباسخيرون، وفي الناحية الشرقية البحرية من المذبح مصطبة بارزة وعليها حوض من الحجر شبه الرخام، وجدنا به طبقات متصلة من زيت زيتون متجمدة بشدة (قاوم "الأجنة" عند محاولة رفعه). وقد علمنا من الطقس أنه حوض لزيت مسحة المرضى حيث كان طقس الكنيسة يحتم وجود زيت على المذبح أثناء تقديس الذبيحة، حيث يُقرأ عليه أوشية المرضى ثم يدهن به جميع المرضى في الكنيسة الذين كانوا يقيمون في بيت خاص يلحق بالكنيسة (البيمارستان)، ويجرى عليه الصلاة والمسح بالزيت بعد كل قداس (انظر قوانين القديس أناسيوس).

ويعتبر هذا الأثر ذا قيمة طقسية كبيرة لأنه يحكي ترتيب الصلاة على زيت مسحة المرضى مع كل قداس كقانون.

الغرفة الضيقة المسحوة ذات المقببات الصغيرة:

ويوجد شرقي الهيكل لكنيسة أباسخيرون مجموعة غرف صغيرة كان يعسر جداً على أي راهب مجازف الدخول إليها أو التواجد داخلها ولو لدقائق، فهي مردومة حتى سقفها بالتراب، مغلقة من كل الجهات، عديمة المنافذ، شديدة الظلام.

وقد قمنا برفع الأتربة ورفع البوص والجريد من سقفها، وتبين لنا أن أهم هذه الغرف هي غرفة علوية أثرية تعلو قبواً أثرياً، وهما معاً في غاية الدقة والمتانة والإتقان.



حوض زيت مسحة المرضى - الهيكل القبلي - كنيسة الشهيد أباسخيرون القبطي

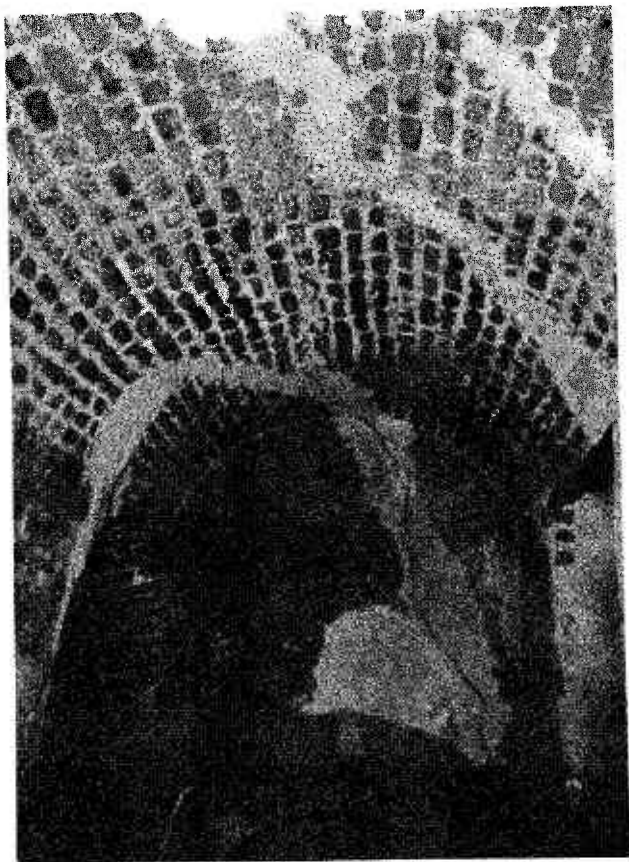
والعجيب أن هذه الغرفة مفتوحة من الجهة القبليّة فتحة غير أصوليّة في منتصف جدارها، مما يفيد أنها كانت مغلقة من جميع الجهات. ويظن، بسبب هيئتها الجليّة هذه، أنها كانت مخزناً طارئاً للميرون، وأنها صُمّمت لكي لا يمكن أن تصل إليها أيدي العابثين حتى تظل كمية من الميرون في أمان في حالة الهجوم على الدير.

٥ - الحصن

ويُعرف قديماً باسم "الجوسق" أو "البرج" أو "القستلية" Castle. وهو من أقدم الآثار الهامة الموجودة بالدير، وأعظم وأضخم كافة الحصون الموجودة بالأديرة القبطية.

بُني بيد عزيزة مقتدرة. فهو من جهة مبانيه وهندسته وضخامة حجارتِه وسُمك جدرانِه وهنية أقبية وارتفاعه يكشف عن هوية بانيه بلا أي مزيد من برهان، فقد بناه الملك زينون سنة ٤٨٢م على يد مهندسين أرسلهم لدير أنبا مقار خصيصاً لذلك، لما علم أن ابنته الأميرة إيلارية التي اختفت من قصره فجأة، قد التجأت إليه وترهّبت فيه على يدي أحد تلاميذ أنبا مقار وعاشت متخفية باسم الراهب إيلاري الخصي حتى ماتت. وقد أغدق الملك زينون بعد ذلك كثيراً على ذلك الدير وعلى كل أديرة مصر تكريماً لذكرى ابنته التي فضّلت الحياة والموت مع رهبان مصر أكثر من التمتع في قصور الملوك.

^٤ علماً بأننا عثرنا في أماكن مستترة كثيرة على أواني من الفخار بها آثار الميرون من عصور سالفّة غارقة في القدم، ويدل على ذلك شكل الأواني الفخارية ذاتها. كما عثرنا على آنية مميّنة للغاية من الألباستر الخالص كبيرة الحجم يظن أنها كانت معدة لاحتواء العطور الخاصة بصناعة الميرون.



قبو سلم الحصن ويظهر فيه آثار الشقوق والتصدّعات

والحصن يتكون من ثلاثة أدوار، يفصله عن السلاالم المؤدية إليه سقالة متحركة كانت تُرفع بعد أن يلتجئ الرهبان إليه ويدخلون فيه.

الدور الأرضي: غرف متسعة كانت تستخدم مخازن ذات أقبية عالية مهيبة، وفي نهايتها من الجهة البحرية بئر ماء كان يستقي منه الرهبان أثناء الغارة.

والدور الثاني نصفان، النصف الشرقي منه عبارة عن كنيسة واحدة باسم العذراء، ذات ثلاثة مذابح. ويوجد بحجابه الأوسط باب يُفتح على الهيكل، وعلى كلتا ضلفتيه رسم لطاؤوس، رمز الخلود، مع نقوش أثرية بديعة.

أما النصف الغربي فهو غرف استخدمت في العصور المتأخرة لعصر الأباركة وزيت الزيتون. وفي الغرف القبليّة فتحة سرية في أرضية الغرفة توصل إلى مخبأ سرّي كان يُستخدم لحفظ المخطوطات.

وفي الدور العلوي من الجهة البحرية كنيسة باسم الملاك ميخائيل حارس الحصن، ومرسوم على حائطها حرّاس إضافيون من الشهداء هم بقطر الشهيد ابن رومانوس وأوسايبوس وواسيليدس ويسطس وأبالي وثاوكليا امرأة يسطس وأم أبالي. وحجاب كنيسة الملاك عبارة عن تجميع لقطع أثرية من أماكن وعصور متعدّدة وكلها آية في الدقة والفن القبطي.

وبليها كنيسة أنبا بولا وأنبا أنطونيوس شفيعي الطريق الرهباني.

أما الكنيسة القبليّة فهي كنيسة السواح. والمعروف أن السواح هم أيضاً مدافعون بالدرجة الأولى في زمن الضيق والاضطهاد. وهم بالترتيب حسب صورهم المرسومة على الحائط: أنبا صموئيل المعترف رئيس دير

نخبة سريعة عن دير القديس أنبا مقار والرهبنة في مصر

القلمون، أنبا يؤانس قمص برية شهيت، أبا نوفر، أنبا أبرام، أنبا جاورجي (رفيقه)، أنبا أبوللو، أنبا أييب، أنبا ميصائيل السائح، أنبا بيجيمي.

أما سطح الحصن فالمعروف أنه كان يُستخدم مركزاً للمراقبة والاستطلاع لمعرفة القادمين إلى الدير من بُعد، حيث كان "المرقباني" وظيفة أساسية مثل وظيفة البواب، وكان يُنتقى من أصحاب البصر الخارق. وكان يحتكر هذه المهنة جماعة من رهبان الصعيد يتناوبون الحراسة ليل نهار. فإذا لاح أي خطر يدقون الناقوس - وكان في القرون الأولى عبارة عن قطعة ضخمة من مسطح خشبي شديد الصلابة - يدق عليها بمطرقة فيخرج منها دوي يتردد صده حتى أطراف البرية. ووظيفة الناقوس في الدير أصلاً هي لدعوة المتوحدين العائشين على مسافات بعيدة للحضور أو إنذارهم بالخطر.

القلالي القديمة

وهي صف من القلالي قبلي هيكل أنبا بنيامين الحالي على الطقس الرهباني القديم، ولكنها ليست أثرية بالمعنى الصحيح فقد بنيت على أنقاض الهياكل القبلية التي تهدمت من كنيسة أنبا مقار، وهي هيكل أنبا مقار الذي بني قبلي هيكل أنبا بنيامين، وهيكل أنبا شنوده الذي كان يليه من قبلي - وبعد أن أزيل صحن الكنيسة لهذه الهياكل أصبح من الممكن بناء هذه القلالي، وربما يكون ذلك في القرن الرابع عشر حيث يكون عمرها من عمر السور الشرقي الذي كان ملاصقاً لها.

والقلالية القديمة عبارة عن غرف ذات قبو منخفض جداً، لها باب ضيق منخفض وقد يكون لها شباك صغير أو لا يكون. ومن داخل هذه

الغرفة المقبية غرفة أخرى ليس لها فتحات بالمرة تسمى "محبسة" Closet حيث يصلي الراهب وينام. وعلى العموم فالقلايات القديمة لها مميزات من جهة عدم تنعيم الجسد وإعطاء روح الفقر والمسكنة للراهب، ولها مضارها من جهة عدم كفاية التهوية والإنارة والشمس.

الغرفة العجيبة التي اكتشفناها أخيراً

وهي في نهاية صف القلايات القبو وملاصقة للسلم الجديد الذي أقمناه ليسهل الصعود إلى الحصن. وبالتحديد بحري الجدار البحري لهذا السلم، حيث توجد فتحة مستديرة من الرخام المتقن، تؤدّي إلى غرفة في باطن الأرض مبطنة بطبقة من المونة الشديدة التي تقاوم المياه، ومساحة هذه الغرفة ١٧٠ سم × ٤٤٥ سم × ٢٢٥ سم ارتفاع. ويظن أنها كانت خاصة بتصريف مياه المعمودية التي كانت ملحقة بهيكل أنبا شنوده من قبلي (?). على كل حال فكونها واقعة على امتداد هياكل كل كنيسة أنبا مقار تكون وظيفتها هيكلية على أغلب الظن.

النهضة المعمارية والروحية الحديثة

منذ سنة ١٩٦٩

ما أن يخطو الزائر داخل الدير؛ وتقع عيناه على الكنائس والمنارة وأحواض الزهور والمباني الجديدة؛ حتى يحس للوقت أنه أمام حركة روحية فريدة في هذا الزمان.

وعلى نقيض ما يتصور الكثيرون عن الرهبنة، أنها أسوار حديدية، تحصر داخلها فتاة أو فتى أعطى ظهره للناس وللمجتمع، كأنه يعيش في عالم غريب عن البشر، يدرك الزائر أن رهبان هذا الدير قادرون على اقتحام الحياة وغلبتها، وعلى مواجهة المجتمع بمشاكله دون الغوص فيه. وهذا راجع إلى القوة الإلهية التي آزرت العمل والبناء والتجديد والتدبير الرهباني بصفة عامة، إذ استطاع الأب الروحي أن يقدم حلولاً واقعية للمعادلة الصعبة، التي هي المواءمة بين أصول الحياة الرهبانية كالتجرد والعفة والطاعة، وبين متطلبات جيل حديث تربى في عصر التكنولوجيا ودرس حتى المستوى الجامعي وما بعده أحياناً، وشغف بالمعرفة واللغات؛ يتوق أن يقدم نفسه كل يوم ذبيحة لله ويتطلع إلى خدمة الكنيسة والتعمق في تراثها المبعثر بين مكتبات العالم ومتاحفه. وكانت ثمرة هذا التدبير الملهم، هو القلاية الحديثة، والمكتبة، والمائدة الجديدة، وباقي المباني الأخرى الحديثة، مع بذل أقصى الجهد للاحتفاظ بالآثار القديمة والعناية بترميمها، نظراً لما تحويه من تاريخ مجيد يحكي عن إيمان صلب، استطاع

أن يتحدثى الزمن وعوامل الفناء، ويقف شامخاً وشاهداً على صدق الله والأمانة الروحية في الكنيسة القبطية.

لذلك يحس الزائر أنه يتحرك فعلاً بين أبنية تغطي ستة عشر قرناً من الزمان، يمتزج فيها الحديد بالعتيق في تآلف مذهل هو معجزة بحد ذاتها.

(أ) قلالة الراهب:

حافظنا في تصميمها على مبدأ التوحد الذي هو سمة الرهبنة القبطية، وبذلك تهيأ للراهب الإقامة فيها لأيام كثيرة دون حاجة مطلقاً للخروج أو الدخول؛ وقد تم تزويدها بالفتحات الكافية للتهوية والشمس والنور، مع دورة مياه كاملة على مجاري عامة تُصرف خارج الدير، ومكان مستقل للمطبخ، مع غرفة صغيرة - محبسة - أرضيتها من الخشب؛ ليتمكن الراهب من النوم على الأرض دون أن يتأذى جسمه مهما كان رهيفاً، ثم غرفة المطالعة والسهر، بمكتبة ودواليب حائطية. ومن جهة الهدوء المطلوب روعي أن تكون كل قلالة منفصلة تماماً عن جارتها بفناء واسع من جهة، وسلم صاعد للأدوار العليا من جهة أخرى، كما أن السقف سميك يكاد يكون مزدوجاً في درجة عزله للصوت، وأغلب الأثاث المستعمل فيها ثابت ودائم لتفادي الحركة والضجيج.

وإذا أضفنا إلى هذا، الفصل الكامل بين أماكن الضيافة وبين قلالي الرهبان وما يتبعها من مباني الخدمات اليومية بما يكفل للدير استقلاله وحرُمته، نكون قد هيأنا للراهب الاستقلال المطلوب الذي تستوجبه العبادة والصلاة والحياة الداخلية بحسب الإنجيل. وهذا هو جوهر الحياة الرهبانية الذي لم نفرط فيه مهما كلفنا غالياً.

قلاية الأخ المبتدئ:

وبحسب التقليد الرهباني تختلف احتياجات الأخ المبتدئ عن الراهب، إذ توصي تعاليم الآباء أن يهتم المبتدئ بقضاء أكبر وقت ممكن في خدمة المجتمع الرهباني، وبذل المحبة، والتواضع؛ ليكتسب الفضائل التي تهَيِّئُه للوحدة بعد ذلك، مثل إماتة الذات والطاعة الكاملة وحفظ الوصية وسط ضجيج العمل. كما أنه غير مُطالب إلا بالصلوات القانونية والمطانيات في قلايته. لذلك تمَّ تخصيص المباني الغربية والجنوبية لحجرات المبتدئين، نظراً لقربها من أماكن الخدمات العامة في الدير.

وقد تم إنشاء ما يقرب من مائة قلاية من النوع الأول وأربعين من النوع الآخر. ولما ازداد عدد الرهبان سنة ١٩٨٥م تمَّ إضافة جناحٍ كاملٍ بالناحية القبيلة يحوي أكثر من ١٢٠ قلاية من النوع الأول.

(ب) المائدة الجديدة:

عرف رهبان مصر آداب المائدة؛ ووضعوا لها الأصول على أعلى مستوى^١، بينما كانت أوروبا غارقة في ظلمة الجهل والبدائية. فالمائدة في الدير امتداد لوليمة الأغابي المعروفة منذ عصر الرسل، والتي شاعت في الكنيسة الأولى، حتى اندثرت بعد ذلك منذ وقت بعيد، إلا في مصر، حيث حافظت عليها الأديرة. وفي عصرنا هذا، الذي نسعى فيه للارتواء من النيايح الأولى، أُقيم لأول مرة في الأديرة القبطية مائدة تجمع الرهبان يومياً على نفس نط مائدة العشاء الأخير يوم خميس الفصح. فكما كان

^١ من تعاليم أنبا إشعيا الإسقيطي للمبتدئين (وهو من آباء القرن الخامس العظيم): "إذا جلست على المائدة مدّ يدك إلى ما هو قدامك فقط ... لا تلتفت هنا وهناك ولا تتكلم كلمة فارغة ... إذا شربت الماء فلا تدع حلقك يُحدث صوتاً".

الطقس اليهودي يحتم أن يجلس رب الأسرة أو الجماعة على رأس المتكأ، وإلى يمينه أكبر أفرادها سناً، وهكذا بالترتيب إلى أن تنتهي الدورة بجلوس أصغر الموجودين على يسار رئيس الجماعة، هكذا في مائدة الدير يتصدّر الأب الروحي المائدة والصلاة؛ ويقرأ البركة، ثم عن يمينه يجلس أقدم الرهبان، وهكذا إلى أن تنتهي الدورة بأحدث المبتدئين عن يساره.

ومن خلال هذه الوليمة اليومية وتعاليم الأب الروحي وشروحاته على كتاب "بستان الرهبان"، يحل الروح الواحد على الجماعة، ليكون لها الفكر الواحد والمبدأ الواحد والحياة الواحدة، للكبير والصغير على السواء. ومن خلال الصلاة وكلمة الله تتقدس حياة الراهب كما هو مكتوب: «فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً فافعلوا كل شيء لمجد الله» (١ كو ١٠: ٣١).

وقد ألحق سنة ١٩٨٢ بالمائدة مطبخ حديث فسيح لإعداد الطعام لما يربو على ١٥٠ راهباً في فترة وجيزة وبأقل جهد ممكن لما فيه من معدات حديثة. ويتكوّن هذا المطبخ من صاليتين كبيرتين: الأولى للإعداد والغسيل والتجهيز بها ثلاثة لحفظ الأطعمة، والثانية للأفران وطهي الطعام.

(ج) المكتبة:

كان لها في الأديرة شأنٌ كبيرٌ، وبالأخص دير القديس أنبا مقار الذي اقترنت فيه التقوى والقداسة مع العلم والمعرفة، حتى قيلت فيه هذه العبارة البليغة: "إنه موطن الصلاة الدائمة والحكمة العالية". لذلك أُقيمت فيه أكبر مكتبة لحفظ ما تبقى من مخطوطات^٢ أفلتت من أيدي الهواة والسارقين

^٢ وقد تم نشر كتالوج المخطوطات القبطية والحبشية التي يحتفظ بها الدير:

الأفاضل، كما نجتهد للحصول على ميكروفيلم وصور للمخطوطات الهامة، التي تسرّبت إلى الخارج، حتى تكون في متناول يد الرهبان والراغبين في الإطلاع والبحث. ووجود مطبعة حديثة بالدير، سيسهل نشر هذه المخطوطات لتعريف العالم - والشعب القبطي خاصة - بالتراث الروحي واللاهوتي والطقسي الذي كانت وما زالت عليه كنيسة مصر.

المتحف:

وهو ملحق بالمكتبة في الجهة البحرية وفيه القطع الرخامية التي عُثر عليها أثناء تجديد الدير مثل الأعمدة والتيجان والقواعد ولوحات المذبح التي تعتبر من أندر القطع في العالم كله، مع أحواض اللقان والآنية الفخارية والخزفية الملونة.

(هـ) ترميم الآثار:

جميع المباني الأثرية التي في الدير كانت في حالة تقرب من التداعي والانحيار:

+ قبة أنبا بنيامين في كنيسة أنبا مقار يعتبرها الأثريون أقدم قبة قائمة في مصر كان بها عشرة شيوخ على الأقل. فاقضى تدعيمها إقامة أعمدة مسلّحة في أركانها، وعمل شدّادات تحت حائطها القبلي، الذي اتضح تأسيسه على سطح الأرض فوق الرمل مباشرة دون قواعد. وأثناء إزالة البياض الخارجي الحديث للجدار الغربي، اكتشفنا تحته رسم حائطي للسيد المسيح والرسل والتلاميذ،

Ugo Zanetti, *Les manuscrits de Dair Abû Maqâr* (Cahiers d'Orientalisme XI), Genève, 1986.

فاضطررنا إلى تعديل التصميم محافظة على هذا الأثر البالغ القيمة.
وبعد تقوية قاعدة القبة وتغليفها من الخارج بالخرسانة المسلحة
زال خطر السقوط.

+ والقبة الرباعية الرائعة في كنيسة الشهيد أباسخيرون أيضاً كانت
مصابة بشروخ خطيرة في أركانها الأربعة، مما دعانا إلى بناء
أكتاف قوية بالحجر تسند حوائطها من الخارج. وهكذا صنعنا
بقبة الميرون والمائدة القديمة.

+ أما شروخ الحصن فكانت من فوق إلى أسفل بكامل ارتفاعه في
العديد من المواضع. والجهد الذي بُذل في ترميمه وتدعيمه، سواء
من جهة التفكير أو التنفيذ، كان يكفي لبناء دير ثان - دون
مبالغة - فقد تم تفريغ عواميس مباني الدور الأرضي وإعادة ملئها
بمونة الأسمنت والرمل العالية القوة، ثم أُقيمت أعمدة خرسانية مع
شدادات فوق حوائطه لتحمل عقود تدعيم القباب المشروخة
بالدور الأول. وبذلك أمكن رفع السقف الخشبي المتهالك لسطح
الحصن، واستبداله بسقف وكمرات خرسانية قوية، تربط الحوائط
الداخلية والخارجية بالدور الثاني. وأخيراً أُعيد بياض ما تم ترميمه
بمونة شديدة بنفس اللون الطفلي القديم.

فبعد أن كان دخول الحصن مغامرة خطيرة والوجود فيه يصيب
النفس بالضيق والكآبة صارت زيارته الآن إحدى المتع التي تشرح
قلب الزائر، خاصة بعد استعمال حجرات الدور الأرضي
كمتحف للأخشاب الأثرية، كالأحجية ومعرض للأدوات القديمة
المستعملة لعصر الزيت والكروم.

مباني الضيافة:

التزمنا بالفصل الكامل بين أماكن الزائرين وبين قلاي الرهبان، الأمر الذي جعلنا نخصّص الناحية الغربية البحرية لاستقبال الزائرين. وتشمل هذه الناحية المباني الملاصقة للمدخل الرئيسي، وتتكوّن من صالات كبيرة بالدور الأرضي والأول تتسع كل منها لمائتي زائر. أما المجموعات التي تزيد على هذا العدد فقد أُقيمت لها صالة كبيرة على اليمين في فناء الكنائس أسفل السلم الرئيسي الهابط إلى هذا الفناء.

وكان لشيوع أنباء النهضة الروحية في هذا الدير العريق أن بدأ يفد علينا الكثير من رهبان أديرة الغرب، للتعرّف على الخبرات الروحية التي تدفع الشباب القبطي في العصر الحديث للتكريس، حتى يعودوا إلى أديرتهم مجتهدين لتجديدها وبعث روح النهضة فيها. فوجدنا من الأوفق تخصيص أول مجموعة من القلاي لإقامتهم ليلمسوا بأنفسهم نجاح التدبير الرهباني في تهيئة الجو المناسب لجيل شاب يرغب في التعبّد لله.

مبنى المستشفى وملحقاته:

وموقعه في المباني القبليّة من الدير. ويتكوّن من غرفة كبيرة للجراحة وأخرى للتعقيم، وصيدلية كاملة بمعمل تحليل ويشرف عليها أطباء متخصصون وصيادلة من الرهبان، وأضيفت إليه فوق البوابة القبليّة عدّة عيادات للتخصّصات المختلفة والأسنان والعيون تُستعمل للكشف على الرهبان وعلى عمال الدير (الذين يصل عددهم أحياناً إلى ١٠٠٠ عامل) وتقديم العلاج.

وقد تم تزويد المعمل بالأجهزة الطبية الحديثة وسيارة إسعاف، ونأمل

أن يقوم بواجبه الإنساني في إسعاف حوادث السيارات على طريق مصر
- الإسكندرية الصحراوي.

المطبعة:

تمكّن الدير بتعزيد الغيورين على نشر الثقافة القبطية المسيحية من
تأثير مطبعة بها أحدث الماكينات وتشمل الدور الأرضي من المبنى
الغربي. وهذا يشمل غرفة متسعة مكيفة الهواء لأجهزة الكمبيوتر المزودة
بالذاكرة الإلكترونية وشبكة الـ Network، وذات الإمكانيات لجمع
وتصوير النصوص إلى كل اللغات، بالإضافة إلى آلات التصوير
والطاوولات المضاء لأعمال طباعة الأوفست وآلة للطباعة (هايدلبرج)
وآلات التطبيق والتدريس والقص.

ويشرف على جميع هذه العمليات رهبان برعوا في إدارة ماكيناتها
الحديثة بطريقة أدهشت المتخصصين في صناعة الكتب.

وقد صدر عنها ما يزيد على مائتي كتاب بعضها زاد عدد صفحاته
عن ٨٠٠ صفحة (كتاب القديس أناسيوس الرسولي والرهبة القبطية
وشروحات أسفار العهد الجديد)، بالإضافة إلى المجلة الشهرية "مرقس"
التي تعبّر عن رسالة الفكر المسيحي للشباب والخدام.

مباني المزرعة:

يرى الزائر إلى الشمال الشرقي من الدير مجموعة مباني تفتش مساحة
عشرة أفدنة تقريباً، تضم حظائر المواشي الأجنبية والبلدية والدواجن،
وما يلزمها من مخازن أعلاف جاهزة ومصنّعة وصلات لتصنيع المنتجات
الزراعية والألبان.

محطة الكهرباء:

أقيمت خارج الدير وعلى مسافة لا تسمح بسماع صوت لآلات توليد الكهرباء حتى يتوفر الهدوء في داخل الدير، وهي مزودة بمولدات كهرباء ضخمة تسمح بتزويد الكهرباء للدير والحظائر وأماكن العمل القريبة في حالة انقطاع التيار الكهربائي الوارد من مدينة السادات بشبكة من أعمدة الضغط العالي.

ورشة الصيانة وإصلاح المعدات:

أقيمت ورشة متكاملة لإصلاح وصيانة المعدات بكل مستلزماتها من مخرطة، ولحام، وإصلاح كاوتش، وكهرباء السيارات، وغنبر لعمل عمرات المواير وزوّدت بأحدث الأجهزة وألحق بها محطة لتموين المعدات بالوقود وتشحيمها، وتقوم شركة كالتكس العالمية بتزويدها بالمنتجات البترولية.

معمل تحليل الزيتون:

أقيم سنة ١٩٨٩ معمل لتحليل الزيتون الأسود الطبيعي والأخضر في خزانات ضخمة تحت الأرض وباستخدام طلمبات متخصصة لتقليبه ولفصله من ماء التخليل. وألحقت به عصّارة حديثة لعصر الزيتون.

معمل لتجفيف البلح وتجهيز العجوة:

أقيم سنة ٢٠٠٠ معمل لتجفيف البلح وتجهيز العجوة باستخدام أحدث أساليب التعقيم عن طريق تفريغ الهواء ثم أفران تجفيف العجوة. بمرور تيار من الهواء الساخن عليها. ويساهم هذا المعمل في إعداد كميات كبيرة من البلح نصف الجاف والعجوة في شهر رمضان بالذات.

لحة سريعة - م ٦

مباني العمال الزراعية:

أعدَّ الدير قرية عمالية كاملة على أسوار الأرض المحيطة بالدير في الناحية البحرية، وهي المباني التي يراها الزائر عند دخوله من البوابة الخارجية. وتستوعب هذه المساكن ١٠٠٠ عامل زراعي لمباشرة الزراعات المحيطة بالدير بما يلزمهم من مطابخ وأفران ومخازن وعيادة طبية وصيدلية. خُصَّص الدور العلوي لهذه المساكن للصناع المهرة والفنيين، كما يتم تزويدها بالكهرباء والمياه من بئر عميقة حتى تصير متكاملة الخدمات والمنافع.

النشاط الزراعي والإنتاج الحيواني:

لم يكن هدفنا في كل ما تم من أعمال البناء والتجديد والترميم، إلى غاية واحدة نبلغها ونرتاح عندها، ذلك لأن العمل بالنسبة للراهب وسيلة عظمتى للنمو الروحي. فالراهب الذي عزم في قلبه أن يعيش حياة الكمال المسيحي يدرك منذ اللحظة الأولى لدخوله الدير أنه قادم من عالم الجسد والخطية، حاملاً في جنباته ميراث المجتمع والأسرة والجسد والملذات التي تتصادم جميعاً مع متطلبات الكمال. فالعمل الجاد يكشف تزيف النفس ويعريها من غطاء البر الذاتي. والراهب الحكيم يتعلَّم كل يوم من أخطائه وخطاياها، كيف يتواضع، ويدق صدره صارخاً إلى الله: "اللهم ارحمني أنا الخاطيء". كما يتيسَّر أيضاً، من جهة أخرى، للأب الروحي من خلال العمل أن يقوم ويصحَّح وينبِّه وينذر، وهكذا من انتباه الراهب للخطية ومن طاعته لأبيه تبدأ النعمة عملها في تغييره من حياة حسب الجسد إلى حياة حسب الروح، فينمو روحياً وإنسانياً ووطنياً وتنضج شخصيته وتبلور سماته الحقيقية التي خلقه بها الله، بعد أن يسقط عنه زيف المجتمع وبغضة الجسد والمنافسة وتأكيد الذات. وبذلك

يصير العمل ليس غاية بل واسطة فعّالة للموت عن الذات البشرية والامتداد في الكيان المسيحي الإلهي، ويكون البذل اليومي في المطبخ والبناء والحقل والورشة وحظائر الماشية وسائل لتمجيد الله والمساهمة في خدمة الآخرين.

(١) استزراع الصحراء:

العمل الأساسي الذي نجحنا فيه وصار فيما بعد سبب نجاح للمشروعات والتجارب الزراعية والحيوانية هو القدرة على تحويل مساحات الرمال الصفراء إلى حقول خضراء تسخو بالمنتجات الزراعية بما يفوق العائد من الأراضي الطينية السوداء باستخدام البحث العلمي الدقيق. فاخضرت الصحراء وأزهرت وأثمرت الرمال الجرداء. والمعروف أن تسعة أعشار مساحة القطر المصري من الأراضي الصحراوية.

لذلك لم تغفل عينا الرئيس الراحل السادات، وهو الساهر على رفاهية شعبه، عن هذه المعجزة فقام بتشجيعنا لموالاته هذه التجربة وما بعدها عن طريق وزيره المختص بإهداء ١٠٠٠ فدان ليساهم الدير في حل مشكلة الصحراء والأمن الغذائي للدولة.

(٢) التجارب الزراعية:

(أ) بنجر العلف: ساهم الدير في حل مشكلة نقص علف الماشية وما يسببه من ارتفاع أسعار اللحوم إذ قام بزراعة بذور بنجر العلف المستوردة من ألمانيا (الغربية)، فاستجاب النبات لصحرائنا المستصلحة بطريقة مذهلة حيث وصل وزن الدرنه الواحدة أكثر من ٥٥ كجم

أحياناً (بينما لم يزد عن ٧ كجم في ألمانيا موطنه) وبلغ محصول الفدان أكثر من ٢٤٠ طناً من الجذور، و ٢٥ طناً من الأوراق. وأهم ما يميّز به هذا النوع من الأعلاف هو إمكانية استعماله في الصيف حيث ينعدم العلف الأخضر، بالإضافة إلى قيمته الغذائية المرتفعة لأنه يحتوي على ٧٪ بروتين بالإضافة إلى ١٠٪ نشويات التي تُزيد من قدرة الماشية على إدرار اللبن. وبذلك يعتبر هذا البنجر علفاً مثالياً.

(ب) بنجر السكر: وهو من بذور مستوردة أيضاً من ألمانيا (الغربية)، وأعطى أعلى نسبة سكر في العالم وهي ٢٠٪ من وزن الجذر.

(ج) التين المجفف: نوع جديد استنبطته جامعة كاليفورنيا بالولايات المتحدة يميّز بثماره القابلة للتجفيف.

هذا بخلاف تجارب أخرى لأنواع منتقاة من الشمام (أصناف الكانتالوب) وأشجار الزيتون الكلاماتا والأسباني، والنخل والفاكهة الأخرى حتى بلغت مساحة الأرض المنزرعة ٥٠٠ فدان بعد ٤ سنوات فقط.

(٣) في مجال الإنتاج الحيواني:

(أ) قام الدير بإنشاء محطة تحسين صنف الأغنام المعروف باسم "البرقي" وموطنها الساحل الشمالي غرب الإسكندرية. واهتمامنا بهذه التجربة يرجع إلى وجود مرض خطير يهدّد قطعانها وينذر بإبادةها، مع أن هذا الصنف من أميز أنواع اللحوم وصفه متوسط الجودة وله قدرة عالية على الاحتمال.

(ب) واستورد الدير بقر فريزيان من موطنه الأصلي بألمانيا وهولندا وسلالة من البقر السويسري "براون سويس"، وأنشأنا محطة تربية للبقر

البلدي بقصد تربية قطيع بلدي نموذجي غير مهجن وقطيع آخر مهجن بأصناف أوروبية ممتازة لتحسين السلالات المحلية، والحصول على أصناف عالية الإنتاج في اللحم واللبن معاً. هذا بخلاف ما ينتج عنها من سمد بلدي تحتاجه عمليات استزراع الصحراء.

(ج) كما استورد الدير أيضاً نوعاً جديداً من الدجاج الفرنسي ISA Brown يتميز بإنتاج عالٍ للبيض (٣٠٠ بيضة في السنة للدجاجة الواحدة) مع ارتفاع وزن البيضة حتى وصل إلى ١١٥ جم أحياناً بالإضافة إلى طعمها الجيد.

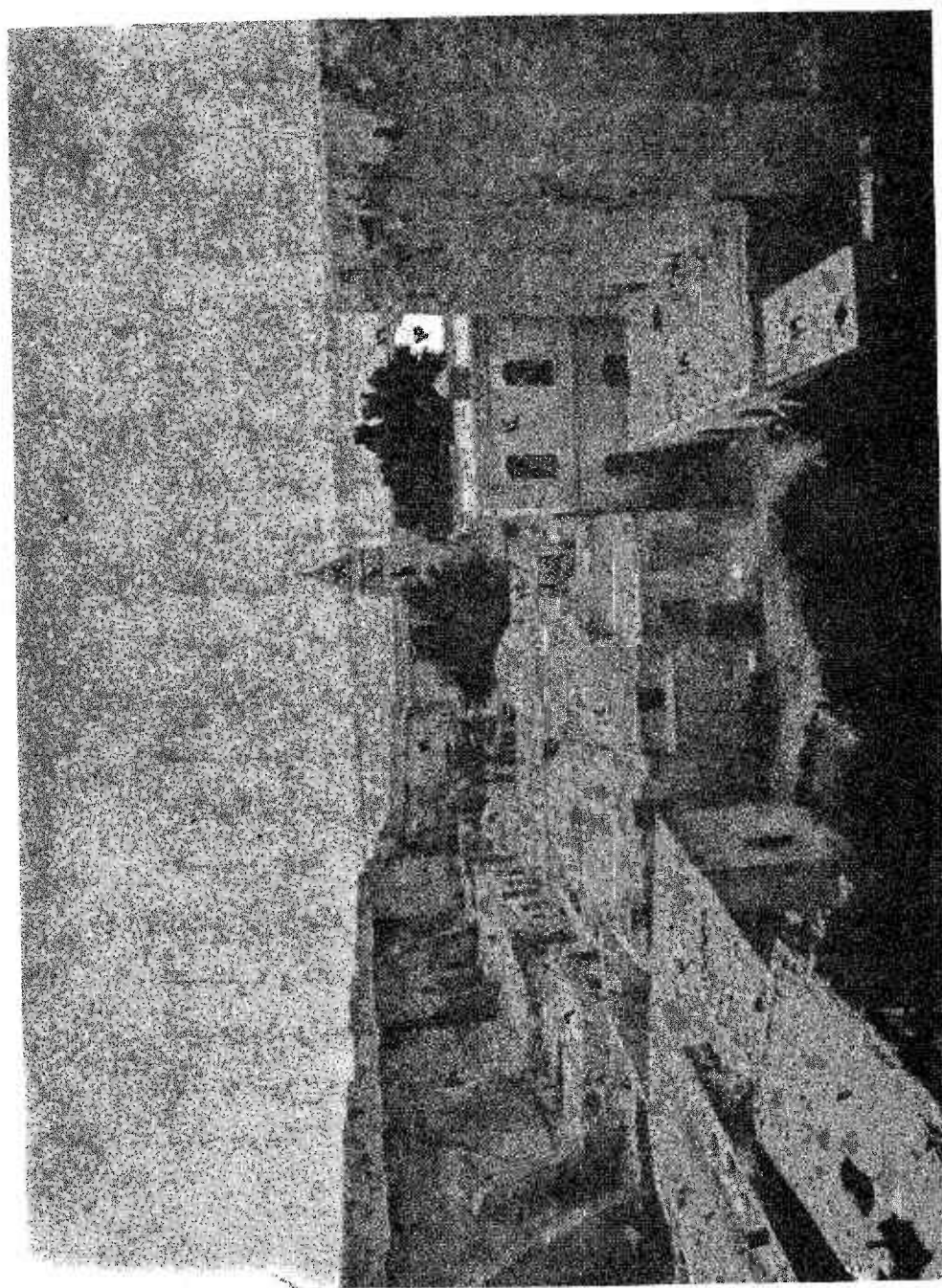
(د) ويقوم المختصون بوزارة الزراعة حالياً - قسم وقاية النبات - بإنشاء مزرعة نموذجية للنحل المنتخب من أنواع ممتازة لإنتاج عسل النحل والمساعدة على تلقيح النبات، وذلك لما وجدوه من تعاون صادق واستعداد من الرهبان للعمل والبذل في سبيل المصلحة العامة.



ورغم الجهود الشاق الذي يتطلبه استزراع الصحراء الذي نباشره بوسائل بدائية، ورعاية التجارب الزراعية والحيوانية، إلا أن النجاح فيه يرجع أساساً إلى تعاون الآباء وروح المحبة المثالية واستعداد البذل. فكان هذا النشاط بأوجهه المتنوعة واجهة مشرقة أمام العالم والوطن وشهادة واقعية لصدق الله لكل من يتمسك به.

شرح صورة الدير قبل الإصلاحات

- (١) الفرن القديم وهو مغطى بالبوص وكان مصدر حرائق في الدير ظهرت آثارها على مدى السور الغربي من كنيسة الشيوخ حتى نهاية السور.
- (٢) المائدة القديمة وهي كما هي بحالها بعد تقوية جدرانها وقبابها المتداعية.
- (٣) المعجن القديم وهو مبنى حديث مضاف، يحجز بين كنيسة أباسخيرون وبين المائدة التي كانت ملحقة بالكنيسة وقد أزيل لتصبح المائدة جزءاً مضافاً للكنيسة حسب الطقس.
- (٤) كنيسة أباسخيرون وكانت أقيمتها وقبابها متداعية ذات شروخ طويلة خطيرة. فتحتها تزيد على ١٥ سم. وقد صار تقويتها بغلاف مسلح يقيها من المطر وعوامل التعرية.
- (٥) مذود للركاب وكان متاخماً لقلالي الرهبان ومصدر وبائي للذباب الذي كان يغشى الدير كله. وقد أزيل تماماً.
- (٦) قلايات حديثة ضعيفة المباني متهاكة.
- (٧) قلالي الرهبان وبطرفها البحري قلاية البطريك ولا تزال أبوابها وشبابيكها الخشبية محفوظة بالدير (في حالة رديئة). وبطرفها القبلي مراحيض تصرف تحت أساسات كنيسة أباسخيرون.
- (٨) السور الغربي وكان يرتفع فوق القلاي حوالي سبعة أمتار، وكان



متداعياً، به شروخ طويلة خطيرة وكان يشكل خطراً كبيراً على القلالي وسكانها. وقد سقط مرة واحدة في نصف الليل دون أن يصيب أحداً.

(٩) كنيسة الشيوخ الشهداء التسعة والأربعين.

(١٠) قبة الميرون المقدس وللأسف بالرغم مما لهذا الأثر الخالد (القرن السادس) من قدسية فقد استخدم قديماً لتربية الطيور.

(١١) حوش أقيمت أسواره كدعامات للسور لمنعه من السقوط.

(١٢) منارة الجرس، وهي على الطقس الغربي وفاقدة لأي إحساس معماري قبطي، وكانت مبانيه بالطوب الأحمر من منتصفها إلى فوق أما أساسها فكان من الطين والحجارة وكانت متداعية، وقد سقط منها الجرس بسبب ثقله وأعيد تركيبه ولكن كان يشكل خطورة على حياة الرهبان.

(١٣) مجموعة قلالي لسكنى الرهبان وكان بالدور الثاني منها سكن أسقف الدير، نيافة الأنبا ميخائيل مطران أسيوط الحالي أطال الله حياته، الذي على يديه وبتشجيعه تمت جميع الإصلاحات الحالية بحسب توجيهه.

(١٤) القصر الذي بناه أنبا أبرام، وكانت به المكتبة في إحدى الغرف السفلى، وكانت دورات المياه تنشع على جدران كنيسة أباسخيرون وتسببت في إتلاف جدارها الشرقي. ولا يزال حتى الآن به شروخ، بالرغم من الحزام الحجري الضخم الذي قمنا ببنائه حولها.

(١٥) قبة كنيسة أنبا مقار. ويلاحظ أن الكنيسة لم يكن بها إلا قبة واحدة قبل سنة ١٩٢٥ ميلادية ثم بنيت الثانية بعد ذلك.

(١٦) الطرف البحري للصور الشرقي.

(١٧) الحصن القديم وتبدو الشروخ الطولية فيه واضحة.

(١٨) غرف مخازن أضيفت إلى ضيق الممرات ضيقاً.

(١٩) مراحيض تصرف تحت أساس الحصن وهي التي تسببت في الشروخ الطويلة الغربية من الجدار (وقد قمنا بترميمها جميعاً).

كتابات الأب متى المسكين

(مايو ٢٠٠٦م)

أحدث ما كتب الأب متى المسكين:

- مع المسيح (الكتاب الأول).
- مع المسيح (الكتاب الثاني).
- مع المسيح (الكتاب الثالث).

سلسلة شروحات الإنجيل:

- القديس بولس الرسول
- شرح رسالة رومية
- المدخل لشرح إنجيل القديس يوحنا
- شرح إنجيل القديس يوحنا - ج ١
- شرح إنجيل القديس يوحنا - ج ٢
- شرح الرسالة إلى العبرانيين
- شرح الرسالة إلى أهل أفسس
- شرح الرسالة إلى أهل غلاطية
- شرح الإنجيل بحسب القديس مرقس
- شرح سفر أعمال الرسل
- شرح الإنجيل بحسب القديس لوقا
- شرح الإنجيل بحسب القديس متى

شرح إنجيل متى (أصحاحات منفصلة) طبعة اقتصادية للاستعمال الفردي أو للدراسة الجماعية

• الرسالة الأولى للقديس يوحنا الرسول: شرح وتفسير

• المزامير: دراسة وشرح وتفسير، في أربعة مجلدات. المجلد الأول: المقدمة

• المزامير: دراسة وشرح وتفسير. المجلد الثاني: من مزمو ١ حتى ٤١

• المزامير: دراسة وشرح وتفسير. المجلد الثالث: من مزمو ٤٢ حتى ٨٩

• المزامير: دراسة وشرح وتفسير. المجلد الرابع: من مزمو ٩٠ حتى ١٥٠

مجلدات في مواضيع متنوعة:

- النبوة والأنبياء في العهد القديم
- القديس أناسيوس الرسولي
- الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار
- حياة الصلاة الأرثوذكسية
- المسيح: حياته وأعماله
- سلسلة دراسات في التقليد الكنسي:

- التقليد المقدس
- القديسة العذراء مريم (نيثوتوكس)
- الصليب المقدس
- التسيحة اليومية ومزامير السواعي
- الإفخارستيا
- إفخارستيا عشاء الرب (ملحق كتاب الإفخارستيا)
- المعمودية: الأصول الأولى للمسيحية
- سلسلة الرؤية الإلهية للأعياد الكنسية:

- أعياد الظهور الإلهي
- الصوم الأربعيني المقدس
- مع المسيح في آلامه حتى الصليب
- القيامة والصعود
- الروح القدس الرب المحيي (في جزئين داخل كيس واحد)
- التجسد الإلهي في تعليم القديس كيرلس الكبير (مع عظة الميلاد للأب متى المسكين)
- ميلاد يسوع المسيح ابن الله

- رسالة الميلاد لنا اليوم وثمانوئيل الذي صوم العذراء وعيد صعود جسدها: تفسيره الله معنا
- مقالات منفصلة عن الميلاد والغطاس
- مقالات تصلح للخدام والشباب:
 - الخدمة (٣ أجزاء معاً)
 - المسيحي في المجتمع
 - المسيحي في الأسرة
 - كيف تقرأ الكتاب المقدس
 - في التدبير الروحي
 - توجيهات في الصلاة
- أسبوع الآلام:
 - مع المسيح في آلامه وموته وقيامته
 - لأعرفه وقوة قيامته
- عيد القيامة المجيد:
 - القيامة والخلقة الجديدة
 - القيامة والرجاء الحي
 - قيامة المسيح هي فرح البشرية الدائم
- مقالات منفصلة عن عيد القيامة
- عيدا الصعود والعنصرة:
 - عيد الصعود في اللاهوت الكنسي
 - رسائل ومقالات في عيدي الصعود والعنصرة
 - يوم الخمسين في التقليد الآبائي
 - الروح القدس وعمله داخل النفس
 - مع الروح القدس في جهادنا اليومي
 - يوم الخمسين وميلاد الكنيسة
- مقالات منفصلة عن عيدي الصعود والعنصرة
- صوم الرسل:
 - صوم الرسل ومكانته الروحية في الكنيسة، والروح القدس وصوم الرسل
 - عيد الرسل وإيمان الكنيسة
- صوم العذراء وعيد صعود جسدها:
 - صوم العذراء القديسة مريم وعيد صعود جسدها إلى السماء
 - عيد النيروز:
 - الشهادة والشهداء (انظر: قصص مسيحية للحياة)
 - مقالات منفصلة عن عيد الشهداء
- مجموعة مقالات في اللاهوت (ألقاب المسيح)
 - ماهية المسيح - لاهوت المسيح الذي حدد مصير الإنسان
 - المسيح ابن الله
 - ابن الإنسان
 - المسيح والمسيّا
 - المسيح رب المحبوب
 - الفدية والكفارة
 - الخلاص والإيمان
 - عمانوئيل
 - رئيس الحياة
 - أنا هو نور العالم
 - العريس
 - أنا هو الطريق والحق والحياة
 - أنا هو خبز الحياة
 - أنا هو الكرمة الحقيقية وأبني الكرام
 - حمل الله
 - أنا هو القيامة والحياة
 - مشتهى كل الأمم
 - أنا هو الراعي الصالح
- في الموضوعات الروحية العامة:
 - التوبة

• التوبة والنسك في الإنجيل

• العمل الروحي

• الفضائل المسيحية بحسب الإنجيل

• رسائل القديس أنطونيوس

• الإيمان بالمسيح

• حبة الخنطة

• أين شوكتك يا موت

• التبرير

• الوحدة المسيحية

• مقالات بين السياسة والدين

• ملكوت الله

• المرأة حقوقها وواجباتها

• الكشف الأثري في دير القديس أنبا مقار عن

رفات القديس يوحنا المعمدان وأليشع النبي

• لمحّة سريعة عن دير القديس أنبا مقار

والرهبنة في مصر

• سيرة القديس أنبا مقار

• رسائل روحية

• غاية الحياة المسيحية

• القديس أنطونيوس ناسك إنجيلي

• رأي في تحديد النسل

• الكنيسة الخالدة

• كلمة الله : خدمة وشهادة وحياة

• الوحدة الحقيقية ستكون إلهاماً للعالم

• لقد وجدنا يسوع - دعوة تعارف

• قصة الإنسان (حول الخطية والخلاص)

• تغيّروا عن شكلكم

• حاجتنا إلى المسيح

• الكتاب المقدس رسالة شخصية لك

• النعمة في العقيدة والحياة النسكية

• الحدود المتسعة للإيمان بالله

• في تعليم المبتدئين

• ميلاد المسيح وميلاد الإنسان

• نصائح لرهبان جدد + اختبار الله في حياة

الراهب

• تاريخ إسرائيل

• كيف سيدين المسيح المسكونة بالعدل

• الحكم الألفي

• أنشودة للتجسّد

• الخلق الجديدة للإنسان في الإيمان المسيحي -

الجزء الأول

• الخلق الجديدة للإنسان في الإيمان المسيحي -

الجزء الثاني

• رسالة توعية

• "الإنسان والخطية" رسالة سلام للنفس المتعبة

• رسالة حياة لمن يطلب الحياة "تسليم الحياة

للمسيح"

• الله واحد مع شرح صلاة "أبانا الذي في

السموات"

• فن الحياة الناجحة

• كيف نبني أنفسنا على الإيمان الأقدس

• التحولات الروحية السوية

• إرشادات روحية للرهبان

• توجيهات ونصائح رهبانية

• متى صليتم فقولوا أبانا الذي في السموات

• قصص مسيحية للحياة (في مجلد واحد)

(وهي تشمل ١٥ قصة طُبعت منفصلة في

٩ كتيبات صغيرة وعناوينها كالاتي):

• سفراء من العالم الآخر

• في زقاق المسيحيين

• قصة استشهاد الرسولين بطرس وبولس

- أولوجيوس والمقعد الرذيل، المحارب العجوز
- تاييس امرأة الأساطير، القديسة ميلانية العجيبة، صلاة فلاح، أنباي المسيح وبهرجة الفلسفات

- النبروز وذكرى أيام الشهداء
- أيقونة جميلة
- قصة استشهاد مؤثرة للغاية
- قصة طهارة واستشهاد بارع، القديس فوكا البستاني، فلسفة الموت عند شهداء مصر

اقرأ مع هذا الكتاب:

سيرة القديس أنبا مقار

للأب متى المسكين

يُطلب من:

دار مجلة مرقس

القاهرة: ٢٨ شارع شبرا - تليفون ٢٥٧٧٠٦١٤

الإسكندرية: ٨ شارع جرين - محرم بك ت: ٤٩٥٢٧٤٠

أو عن طريق موقع الدير على الإنترنت:

www.stmacariusmonastery.org

أو عن طريق مكتبة الدير



صورة قديمة للقديس أنبا مقار



الثلاث مقارات القديسون

لوحة قديمة مرسومة على جلد، محفوظة بالدير. تمثل القديسين الثلاثة برموزهم (أنبا مقار الكبير عن اليمين، وأنبا مقار الإسكندراني يحمل كل منهما صليباً رمز الجهاد النسكي، وفي الوسط أنبا مقار الأسقف).



لوحة خشب تمثل القديسين الثلاثة - لوحة أحدث من السابقة - إهداء
 من نيافة الحبر الجليل الأنبا إبرآم مطران كرسى البلينا لبيعة القديس العظيم
 أبي مقار كوكب برية شيهات بالدير سنة ١٦٤٦هـ - ١٩٣٠م .



المائدة القديمة بجوار كنيسة الشهيد أبسخيرون القليني



المساروعيم: القوة الإلهية التي رافقت القديس أنبا مقار كل أيام حياته
(الركن الشرقي البحري لهيكل أنبا بنيامين في قاعدة القبة - كنيسة أنبا مقار)



رسم حائطي يمثل القديس أنبا مقار يرفع يده بالبركة وعن يمينه بقايا صورة الشارويم القوة المرافقة له.



كنيسة القديس أنبا مقار بقبابها الثلاث، والمنارة الجديدة



المقصرة الأثرية القديمة

وفي الواجهة: كنيسة القديس أبسخيرون الشهيد.
عن اليمين: كنيسة التسعة والأربعين شهيداً.
عن اليسار: مدخل كنيسة أنبا مقار.



المائدة الحديثة (الواجهة الشرقية)، حيث يجتمع الرهبان الساعة الثانية عشرة ظهراً لتناول وجبة اليوم معاً.

حسب طقس الرهبان الأول



مقصورة رفات القديسين وتشمل: رفات القديسين الثلاثة مقارنات (أعلى) – وتسعة بطاركة في الموضع الأسفل.



رسم حائطي يمثل القديسين أنبا أنطونيوس أب الرهبنة والقديس أنبا بولا
أول السواح رافعاً يديه في وضع الصلاة.



رسم حائطي يبين القديس باخوميوس أب الشركة وبجواره إلى أعلى اليمين
ثلاثة مفاتيح ترمز إلى النذور الثلاثة للرهبنة (الفقر - الطاعة - العفة)،
وإلى أقصى اليمين تلميذه ثيودوروس.



الجوسق (أي الحصن)
Castle = أو القسطة
الذي كان يلتجئ إليه الرهبان من غارات البربر



كنيسة النسعة والأربعين شهيداً (الراجهتان الشرقية والغربية والمدخل)



مغارة القديس أنبا مقار - اكتُشفت حديثاً.



صورة للدير النقطت من الجو (من طائرة هليو كوبر).